بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾ (التوبة: ١١١).

****

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٢٣ هـ
يونيو ٢٠٠٢ م

رقم الايداع
٩٠٢٣ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977-209-079-1

المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندرية : ٧ شارع توبار المنشية ت : ٤٨٤٦٦٠٢

كل الحقوق محفوظة

الرؤية الإسلامية للقضية الفلسطينية

المستشار مصطفى الشكيري

رئيس محكمة استئناف

المكتب المصري الحديث

ويقول رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر، يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[1].

****

(١) صحيح الجامع الصغير، حديث رقم ٣٠٧٨/٧٣٠٤ رواه مسلم.

الإهداء

- إلى أرواح الشهداء ..
- إلى الذين اتخذوا الجهاد طريقًا لتحرير فلسطين..
- إلى المجاهدين الصامدين فى فلسطين ..

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله في «عدة الصابرين»:

كان الحسن البصري رحمه الله، إذا ابتدأ حديثه يقول:

الحمد لله. اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتنا وعلمتنا، وأنقذتنا وفرجت عنا. لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن. ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاه. كبت عدونا. وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا. وجمعت فرقتنا. وأحسنت معافاتنا. ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا. فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً. لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب. لك الحمد حتى ترضى. ولك الحمد إذا رضيت. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

تبـــينت أن الحق إن لم تتح له بواسل

يخـــشى ظلمـــهـــا فـــهـــو باطلُ

لعـــمـــــرك لو أغنى عن الحقِ أنه

هو الحق مـــا قـــام الرســـول يقـــاتلُ

فـــلا تحـــسبن الحق ينهض وحـــده

إذا ملت عنه فـــهـــو لا شك مـــائلُ

اقـــمـــــه، وأسنده، ودعِّم بنـاءه

وذد عنه ذود الليث والليث صـــائلُ

ولا تسندن الحقَّ بالقـــول وحـــده

فـــإن عـــماد الحق مـــا أنت فـــاعلُ

من العـــدل أن لا يطلب الحق عـــاجـــز

فليس على وجـــه البـــسيطة عـــادلُ

لكن قـــويٌ يشـــرب الدم ســـائغـــاً

إذا خـــضـــبت يوم الورود المناهلُ

****

مقدمة

الحمد لله الذي لطف وعفا وشفى وأذهب عنا الهم والغم والحزن، وبدل سقمنا صحة وعافية وخوفنا أمناً، وضعفنا قوة.

يقول الإمام الشيخ صالح الجعفري رضي الله عنه:

يا سريع اللطف يا من لطفه : يسبق البرق إذا ما لطفا.

هذا أول ما خطت يدي بعد ما برئت وسائر جسدي من الداء الذي ألم بي وحال بيني وبين الكتابة شهوراً عديدة كنت فيها أسير المرض ورهين الدار لا أغادره إلا إلى الطبيب وكنت دائمًا أردد قول الله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾.

وكان حقاً كذلك، فحقًا عليَّ أن أحمده وأشكره بأن أخط بيدي ما آمل أن ينفع الله به المسلمين في دينهم فيما يستوجب ذلك في النوازل التي نزلت بهم من اغتصاب مقدساتهم وإراقة دمائهم وسلب ديارهم على يد اليهود: فتعرضت لمخططات اليهود وتناولت جزءاً من تاريخهم القديم وتناولت باستفاضة مؤامراتهم ضد السلطان عبدالحميد وخلعهم إياه بعد ما وقف في وجههم ومنعهم من دخول فلسطين، ثم تناولت قضية فلسطين وكيفية إنقاذها من اليهود، وسوف يرى القارئ أنني كثيرُ النقول من المراجع ذلك لأنني ما وجدت موضوعاً أريد أن أكتب فيه وأوفاه غيري لم أجد غضاضة في الانتفاع به مع والإشارة إلى المرجع ومؤلفه.

وأخيراً أسأل الله نعمة العافية وأسأله تمام نعمة العافية وأسأله دوام نعمة العافية وأسأله الشكر على نعمة العافية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المستشار

مصطفى فرغلي محمد الشقيري

العدوي

القاهرة ٢٠٠١/١٠/٨م

العرب تحت راية الإسلام

يخطئ من يظن أن الصراع العربي الأسرائيلي من الممكن أن تنهيه معاهدة صلح أو إتفاقية سلام قد يصدق هذا إذا كانت القضية مجرد احتلال أرض أو نزاع حدودي أو مشكلة سياسية مما يطرح على موائد المفاوضات أو في أروقة الأمم المتحدة إن الصراع العربي الإسرائيلي ليس هذا فحسب إنه أعمق غوراً وأشد خطراً.

ونتج عن النظرة السطحية لهذا الصراع أن العرب فشلوا فشلاً زريعاً في استرداد فلسطين بما فيها القدس بما تحويه من بيت المقدس ثالث المقدسات الإسلامية إن النظرة القومية أو العلمانية للصراع العربي الإسرائيلي فرغت القضية من مضمونها الحقيقي مما ترتب على ذلك أن الجندي العربي ـ طوال مراحل الصراع يقاتل بلا عقيدة مما أفقده الحماس وحب الاستشهاد في سبيل الله لأن الفكر الذي يقود المواجهة فكر قومي أو علماني والجندي العربي مفتاح شخصيته العقيدة الإسلامية المغروسة في قلبه الكامنة في أعماقه المتأصلة في نفسه. قاتل بها يوم (بدر) فانتصر وهي التي جعلت من الجندي المسلم عمرو بن الحمام حينما تناهى إلى مسمعه نبأ المعركة وتعبئة المسلمين للقتال وكان وقتئذ يأكل من بضع تمرات بعضها في يده ويلوك أخرى في فمه فما كان منه إلا أن ألقى بهذه التمرات قائلاً بيني وبين الجنة أن أكل هذه التمرات فألقى بها في الأرض وألقى بنفسه في المعركة ونال أمنيته الغالية وخر شهيداً بعد أن نال من الكفار ما نال.

ومن خلال عقيدة الجهاد المبنية على تعاليم الإسلام السمحة قام المسلمون

بواجبهم نحو حماية الحق والحرية فانساحت الجيوش في العالم كله جنوبه وشماله شرقه وغربه لتنقذ المستضعفين في الأرض وتنصر المظلومين وتنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ويلخص الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ مراحل تاريخ المسلمين أيام تمسكهم بالعقيدة الإسلامية فيقول في رسالة بين الأمس واليوم:

على قواعد هذا النظام الاجتماعي القرآني الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيماناً عميقاً وتطبقه تطبيقاً دقيقاً وتنشره في العالمين، حتى كان الخليفة الأول رضي الله عنه يقول: «لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله» وحتى إنه ليقاتل مانعي الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول: «والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدي».

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة. فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة في العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية في الجيوش، وفي بيوت المال، وفي تصرفات الولاة، إذ أن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد.

ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة في جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها في نطاق ضيق وقضت على سلطانها الديني والسياسي قضاءً تاماً، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها في قارتي آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوربا في ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية، وتركز بذلك السلطان الروحي

والسياسي بالدولة الإسلامية في القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم في غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية في هذا الجزء المحدود من قلب أوربا، وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار في الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية.

وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية أو السياسية.

****

عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئاً فشيئاً حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية في القرن السادس الهجري بأيدي التتار وفي القرن الرابع عشر الهجري مرة ثانية، وتركت وراءها في كلتا المرتين أمماً مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض.

وكان أهم هذه العوامل:

(أ) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه، مع التحذير الشديد الذي جاء به الإسلام في ذلك والتزهيد في الإمارة ولفت النظر إلى هذه الناحية التي هي سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ الأنفال. ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده في القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة.

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهي، حتى قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل».

(ج) الانغماس في ألوان الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أثر عن حكام المسلمين في كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ الإسراء.

(د) انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والاتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه، مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ آل عمران.

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة، مع أن الإسلام يحثهم على النظر في الكون وأسرار الخلق والسير في الأرض، ويأمرهم أن يتفكروا في ملكوت الله. ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ يونس.

(و) غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل: ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ الأعراف.

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم

ومظاهر حياتهم والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم: ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ آل عمران. وقال في آية أخرى: ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ آل عمران.

❁❁❁❁

صراع سياسي

(أ) محاولات القضاء على الأمة الإسلامية: أخذت هذه العوامل تعمل في كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها، وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضي على هذه الدولة الإسلامية التي فتحت بلادها من قبل، وغيرت معالم أوضاعها في كل شؤون الحياة. فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الإسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءاً جزءاً حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووطنوها بنعالهم في شخص الخليفة المستعصم، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمة إلى دويلات صغيرة، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر. وتنبهت المسيحية في أوربا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم في آسيا وأفريقيا بكتائبها في تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد. وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية في بيت المقدس وتهديد أمم الإسلام في الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك.

(ب) انتصارات متتالية: ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق، فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم في نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين، فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة في حطين، ثم تقف في وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين في عين جالوت، ثم تعيد رسم الخلافة من جديد. ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للإسلام دولة وارفة

الظلال قوية البأس شديدة المراس، تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه، ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية في عقر دارها، فتفتح القسطنطينية وتمتد سلطانها في قلب أوربا حتى يصل إلى فيينا، تلك هي دولة الأتراك العثمانية.

(ج) بواكير النهضة في أوربا: اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه، وغفلت عن كل ما يدور حولها، ولكن أوربا التي اتصلت بأضواء الإسلام غرباً بالأندلس وشرقاً بالحملات الصليبية، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس. فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة في بلاد الغال، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامي الغربي، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمي الأندلس، وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية. فقامت مقامهم الدولة الاسبانيولية الفتية، وما زالت أوربا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار، حتى كان كشف أمريكا عملاً من أعمال اسبانيا وكشف طريق الهند عملاً من أعمال البرتغال، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكوني والمعرفة المنتجة المثمرة. وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التي قاسمتها أوربا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا. وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافاً رقت بها إلى درجة القداسة في كثير من الأحيان.

(د) هجوم جديد: وامتدت الأيدي الأوربية، بحكم الكشف والضرب في

الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة، إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها. وأخذت تعمل في جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحياناً بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقض بعض أطرافها أو تهد جانباً من كيانها، واستمرت هذه المهاجمة أمداً طويلاً انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية، وقعت تحت السلطان الأوربي كالمغرب الأقصى وشمال أوربا واستقل فيه كثير من البلاد الإسلامية التي كانت تحت سلطان العثمانيين كاليونان ودول البلقان، وكان الدور الختامي لهذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ الذي انتهت بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوربا (أنجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا) فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه».

وكانت العقيدة الإسلامية التي تربى عليها المسلمون من لدن صحابة رسول الله ﷺ هي التي تدفع المسلمين إلى ساحة المعركة جنوداً مخلصين وقادة يبعثون الجيوش وقيادة تخطط وتحشد وتعد العدة عملاً بقول الله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وجبهة داخلية متماسكة تساند الجيوش المقاتلة فأصبح الكل مجاهداً في سبيل الله وأصبح الكل في عبادة وظلت العقيدة القتالية الإسلامية عقيدة الجهاد هي التي تدفع المسلمين إلى القتال.

فلقد تصدى المسلمون للتتار رافعين شعار و«إسلاماه» وتصدى صلاح

الدين لجيوش الصليبيين وحرر المسجد الأقصى الأسير من أيديهم تحت لواء الإسلام وبجنود تحركهم العقيدة الإسلامية شعارهم الله والجنة.

وظلت الأمة الإسلامية تدفع كيد الأعداء وترد كل طامع وتجاهد كل غاصب بقوة الإسلام وثبات العقيدة دونما كلل أو ملل. فلما تخلت عن عقيدة الجهاد تخلت عنها وطمع فيها كل غاصب ينهب خيراتها ويدبر أمرها ويسيطر على مقدراتها على النحو الذي بينه الإمام الشهيد حسن البنا في رسالته التي ذكرنا شيئاً منها.

كتب الأستاذ فهمي هويدي عن تخلي العرب عن الجهاد بما أسماه ثقافة السلام وذلك في مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٣٠٥ لسنة ٢٩ الصادر في ٢٨ صفر سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/٢٣ كتب يقول:

«ثقافة السلام تلك هي جزء من التعبير عن الهزيمة التي تقدم فيها كل أوراقك لدرجة أنك تنزع من الناس الحس الجهادي وتحاول أن تطمس الذاكرة الوطنية ولا ينبغي أن نتحدث عن ثقافة السلام مع دولة عنصرية ترفض السلام العادل وما يحدث حالياً هو تنازل وتراجع وتفريط وأنا من الذين سجلوا معارضتهم لمفهوم ثقافة السلام وأقول إنها خدعة كبرى.

فالصهاينة والأمريكان يكتمون أنفاسنا ثم يقولون بثقافة السلام كيف هذا قبل أن نطالب بتدريس وتعميم مفهوم السلام وثقافته نطالب بالعدل أولاً ولن ينجح سلام في ظل الظلم والطغيان».

ونحن نضيف إلى ذلك لن يفلح العرب ويحرزوا نصراً لقضاياهم في هذا العالم الذي يريد إلتهامهم إلا بنشر عقيدة الجهاد وتعميقها في وجدان الأمة.

إن زعماء اليهود قد أفلحوا ونجحوا في جمع شتات اليهود من سائر بلاد العالم على سند من مزاعم دينية توراتية وتلمودية وحشدوهم في فلسطين. ومن المعروف أن كل جندي في جيش اسرائيل يحمل معه نسخة من التوراة. وهذه الثقافة التلمودية يتربى عليها الطفل اليهودي ويرضعها كما يرضع اللبن من ثدي أمه وحينما يشب عن الطوق ويتعلم النطق يقول لأمه أماه اسقني لبناً كثيراً حتى أشب قوياً وأقتل العرب.

وفي مناهج التعليم الاسرائيلية تحظى مادة تاريخ القدس بأكبر عدد من الساعات دون سائر المواد الأخرى ويحافظ زعماء اسرائيل على شعائر يوم السبت ومنها عدم استعمال وسائل المواصلات ونذكر أنه يوم دفن السادات ـ رحمه الله ـ وكان من بين المشيعين لجنازته موشى ديان فأبى أن يركب السيارة ومشى سيراً على الأقدام من الفندق الذي كان يقيم فيه حتى موكب الجنازة وكانت تبعد عن الفندق ....

ويحكي الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في أحد كتبه أن أحد أصدقائه كان يعمل سنة ١٩٤٨ في فلسطين فحكى له أن أحد اليهود كان يعمل حارساً في أحد المزارع اليهودية وكان قبل ذلك يعيش في ألمانيا ويمتلك ثروة طائلة هناك فصادر النازيون أمواله ثم حدث وأن تم الافراج عن أمواله فقال له زميله الحارس معه سوف تصبح من الأثرياء ولا حاجة لك بالعمل في المزرعة فرد عليه اليهودي لا حاجة لي بالمال سأتبرع به من أجل اسرائيل فقط أريد تغيير كلب الحراسه الذي معي الذي ضعف بصره بكلب آخر.

أين نصيب القدس من مناهجنا التعليمية وبها المسجد الأقصى مسرى رسولنا ﷺ.

هل يحظى يوم الجمعة لدى زعماء العرب والمسلمين حينما يكونون في بلد أوربي بمثل ما يحظى به يوم السبت عند زعماء اسرائيل الواقع الأليم يجيب على هذا السؤال.

هل أثرياء المسلمين والعرب ينفقون أموالهم في سبيل الجهاد وفي سبيل نصرة قضاياهم على النحو الذي فعله ذلك الحارس اليهودي. من الممكن أن يكون المسلمون على قدر يفوق اليهود في تفوقهم لو تمسكوا بعقيدتهم.

****

العرب لا ينهضون إلا بالدين[1]

يقول ابن خلدون في مقدمته:

«والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية، كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم. وذلك بما يشملهم من الدين المهذب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس. فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك.

وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى، لسلامة طباعهم عن عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيء لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن «كل مولود يولد على الفطرة» كما ورد الحديث».

يقول الشيخ محمد الغزالي في وصف الحالة التي عليها العرب في مواجهة اليهود:

«إن اليهودية قد قامت إلى جوارنا ديناً ودولة، وهي ماضية في خطتها

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٢.

التي نشأت عليها.. تشعل جذوة العقيدة في القلوب، ولقد استطاع اليهود - بعد الجولة الأولى - في حرب فلسطين أن يضعوا قدماً على الأرض المقدسة.. وهم الآن يبذلون الجهود المريرة ليضعوا القدم الأخرى ثم يستأنفون - بعد تثبيت أقدامهم - مراحل العدوان على ما وراء فلسطين من أرض العروبة والإسلام، فإذا جئت إلينا وجدت عجباً..

إن نصف الدين مهدوم في المجتمع، لأن تعاليمه معزولة عن الحكم، ونصفه الآخر مهدوم في القلوب، لأن الشهوات الرخيصة عصفت بمثله العليا عصفا.

ووالله ما يخز في نفسي شيء مثل أن أرى الذين خاضوا المعركة أول الأمر لم يغيروا إلا قليلاً - أو لم يغيروا شيئاً - من أحوالهم النفسية والخلقية ثم يجب أن نعلم وأن نعترف بأن العقيدة لا تهزمها إلا العقيدة، وأن التحلل الخلقي والانهيار الاجتماعي ليسا من وسائل النصر أبداً، إن انعطاف المسلمين الشديد إلى القرآن وتعاليمه وأحكامه وترابطهم باسمه ومصارحتهم العدو والصديق بهذه الحقيقة الواضحة هو وحده طريق التحول في هذه الحرب بيننا وبين اليهود».

****

الغزو الثقافي

إن العرب بوضعهم الراهن لا يمكنهم أن يحرروا شبراً واحداً من فلسطين لأن مقومات النصر لا توجد في أي نظام عربي وقد توجد بعض المقومات من البترول والمعادن والموقع الاستراتيجي والطاقة البشرية ولكن كل ذلك لا يكفي وحده فالشعوب العربية قد تم تقسيمها إلى دويلات وممالك على كل دولة ملك أو أمير أو رئيس حسبما نظمت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى بعد القضاء على الدولة الإسلامية الواحدة لصالح اليهود الذين كانوا يعدون العدة وتنظيماتهم السرية والعلنية تعمل على قدم وساق جيلاً بعد جيل لإقامة دولتهم في الوقت الذي بدأت فيه موجة الغزو الثقافي والتي تضامن فيها اليهود مع البلدان الأوربية تجتاح البلاد العربية خاصة الشام ومصر وقد استهدف هذا القضاء على الهوية الإسلامية عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً وثقافة ولئن كان فشل في القضاء على العقيدة الإسلامية أفلح في زرع رموز من أهل الفكر متجهمة للإسلام كشريعة وأخلاق وتعاليم إجتماعية تشكل سلوك المسلم ولقد نمت هذه البذرة شيئاً فشيئاً وبسقت أغصانها وامتدت فروعها هنا وهناك ففي كل مواقع التأثير نرى من يوجه الأمور على نحو يتنافى مع تعاليم الإسلام وتجذر الفكر الكاره للإسلام في كل مكان حتى أصبح التصدي له نوع من المخاطرة تجلب على صاحبها المتاعب.

ومن الغريب أن هناك أشياء كثيرة يعدها الإسلام أمر منكراً صراحاً لا خلاف عليه استقرت في المجتمع العربي وثبتت دعائمها ولها أنصار وحماه وسدنة يتولون حمايتها والزود عنها بما يملكون من مواقع التأثير حتى أصبح

المستمسكون بدينهم والداعيين إليه غرباء في المجتمع لأنهم يقولون ما لا يرضى عنه الكثير والإسلام أصبح مهمشا في جميع ميادين الحياة لا تراعى قيمه وأخلاقه وشرائعه والداعي لهذا التهميش أجهزة الإعلام ويا ليتها سكتت ولم تتحدث عن الإسلام ولكنها تبث كل ما يتنافى معه وتحارب المستمسكين به خاصة ممن يكونوا في أي موقع من وقائع التأثير مع أنه من الممكن لهذه الأجهزة بما تملك إمكانات تقنية عالي وطاقات بشرية فنية أن تسهم في نشر الفضائل الاجتماعية والإسلام لا يحول دون ذلك المهم الالتزام بشرائع الإسلام.

أعتقد أننا أطلنا الحديث عن الغزو الفكري ثقافي أو فني لنمهد للقول بأنه في ظل هذه الأجهزة التي لا تراعي للإسلام حرمة ولا تأبه به لو أنطلق داعية يدعو إلى دعوة المسلمين للولاء للإسلام وحده وجعله شعارنا في كل شيء عقيدة وشريعة وجهاداً إذاً لهب الكثيرون من أهل العلم والمعرفة من ذوي العقول الغربية واتهموه بكذا وكذا مما جد من مصطلحات غربية ودخيلة على قاموسنا الإسلامي الذي لا يعرف سوى إسلام أو لا إسلام.

هل في هذا الجو الملبد بالغيوم يمكننا مواجهة إسرائيل مواجهة إسلامية صريحة تحشد فيها كل الطاقات العربية برؤية إسلامية واضحة ومن ورائهم المسلمين في كل أنحاء العالم.

كلا وألف كلا..

لن يكون ذلك قبل أن نكون مسلمين بحق يومها فقط نتحرك ونحكم الخطط ونعد العدة بعد أن نلتقي سوياً بقلوب التقت على العقيدة الإسلامية كعقيدة مواجهة وجهاد.

ولقد قامت القوى المعادية للإسلام بوضع العراقيل بما يحول بين العرب وبين التقائهم على الإسلام فلكل مشرب ولكل منزع ولكل وجهه ولكل هوية، فهم يجتمعون ليتفرقوا هذا على مستوى الأنظمة الحاكمة والشعوب كذلك فهي أسوأ حالاً من الأنظمة، يلتقي العربي الشامي مع العربي المصري والمغربي مع الجزائري أو الليبي فلا تجد في اللقاء بشاشة الأخوة الإسلامية أو العربية ويلتقي المسلم الخليجي مع أخيه المصري فلا تجد إلا نفوراً وقلوبا يغلفها الشك والريبة كل نحو الآخر. ولقد كنا نقرأ في كتب التاريخ فنرى الوحدة القلبية والوحدة الحدودية.

فلقد كان التجار المسلمون والرحالة يخرجون من الاندلس مروراً بالمغرب إن طاب لهم المقام فيها فهم بين أهلهم وإخوانهم ويمكثون إما للتجارة أو الإقامة وفي كل بلدان العالم الإسلامي كنت ترى الشامي مع المصري والخليجي واليمني لا يتعارفون إلا بالإسلام الذي آخى بينهم ولا تذكر النسبه إلى البلد إلا للتمييز بينهم.

فأين نحن من كل هذا الآن؟

بل أين نحن من الإسلام؟

****

بنو اسرائيل بين الكفر والإيمان

إن إغتصاب اليهود لفلسطين لم يتم بين عشية أو ضحاها أو بين يوم وليلة إنما سبقه إعداد جيد وتخطيط محكم استغرق عشرات السنين من العمل الدؤوب ورغم تشتتهم في جميع أنحاء العالم إلا أنهم ظلوا متماسكين ومستمسكين بنصوص العهد القديم والتلمود وغيرها وأشربت قلوبهم هذه التعاليم في أي مكان وجدوا فيه وأصبح كل يهودي يؤمن بأن اليهود شعب الله المختار كما ورد في العهد القديم رغم أن وجودهم في أرض فلسطين كان بأمر من الله حينما كانوا على علم ومتمسكين بما أنزل عليهم من وحي السماء عابدين لرب العالمين على دين الإسلام الذي جاء به أنبياؤهم فمكن لبني إسرائيل الذين يدينون دين الحق ويعبدون الإله الواحد فلما انحرفوا وعاثوا في الأرض فساداً واعتدوا على محارم الله من تعاملهم بالربا وقتلهم الأنبياء ووصفهم الله الواحد الأحد الصمد بصفات تنزه الله عنها بعث عليهم من فلسطين من يطردهم .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم عن أوصاف اليهود :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (آية ٦٤ من سورة المائدة). ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) ﴾ (آية رقم ١٥٥، ١٥٦ سورة النساء).

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ (آية ٤١ المائدة) ويقول الله تعالى: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ (آية ٤٢ المائدة).

هذا الجيل الذي استحق لعنة الله وعقابه والطرد من بيت المقدس وفلسطين بأمر الله حيث بعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ويخرجهم من فلسطين جزاء كفرهم بالله وفسقهم.

****

(١) مقال منشور في صحيفة الأهرام - للدكتور عبدالشافي عبداللطيف.

من هم العباد الذين بعثهم الله على بني اسرائيل؟

رأي يقول: أن الملك سليمان بنى هيكلاً للعبادة وظل موجوداً حتى الغزو البابلي لفلسطين في القرن السادس قبل الميلاد حيث دمره البابليون بقيادة نبوخذ نصر تماما في عام ٥٨٦ قبل الميلاد وأخذ منهم ما يقرب من ٩٠ ألف أسير إلى بابل ثم بعد ما يقرب من خمسين سنة أعادهم الملك الفارسي قورش وجددوا الهيكل فلما جاء المسيح عليه السلام وحدث منهم ما حدث معه دعا عليهم بالتشتت وفي سنة ٧٠م دمر الملك الروماني تيتوس الهيكل مرة أخرى تماماً وفي سنة ١٣٥م دمر الامبراطور الروماني هادريانوس المدينة باكملها وبنى مكانها مدينة سماها ايليا كابيتولينا واسم إيليا هذا كان هو المستخدم منذ الفتح الإسلامي لفلسطين.

إذاً معنى هذا أنه منذ هذا التاريخ وهو عام ١٣٥م انتهى كل وجود لليهود فى فلسطين لا بشر ولا مكان للعبادة[١].

ورأي يقول إن المسلط عليهم في إفسادهم الأول هم جالوت وجنوده وفي المرة الثانية بختنصر.

وفي بيان العباد الذين بعثهم الله على بني اسرائيل يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر في مقال منشور بصحيفة الأهرام:

هذا، والذي يراجع ما كتبه المفسرون في بيان العباد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول والثاني في الأرض، يرى أقوالاً متعددة يبدو على كثير منها الاضطراب والضعف.

والرأي الذي نختاره: هو أن العباد الذين سلطهم الله - تعالى - على بني

إسرائيل بعد إفسادهم الأول في الأرض هم «جالوت» وجنوده، ونستند في اختيارنا لهذا الرأي إلى أمور من أهمها ما يأتي:

(أ) ذكر القرآن الكريم في سورة (البقرة) عند عرضه لقصة القتال الذي دار بين «طالوت» قائد بني إسرائيل في ذلك الوقت ـ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ـ وبين «جالوت» قائد أعدائهم، ذكر ما يدل على أن بني إسرائيل كانوا قبل ذلك مغلوبين من أعدائهم، ويتجلى ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ «الآية ٢٤٦».

فقولهم: (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) يدل دلالة واضحة، على أن بني إسرائيل قبل قتالهم لـ «جالوت» وقومه، كانوا مهزومين هزيمة اضطرتهم إلى الخروج من ديارهم، وإلى مفارقة أبنائهم.

(ب) قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ صريح في أن الله ـ تعالى ـ نصر بني إسرائيل على أعدائهم بعد أن تابوا، وهذا المعنى يوافق ما قصه القرآن علينا بعد ذلك، من أن بني إسرائيل بقيادة «طالوت» قد انتصروا على أعدائهم وهم جالوت وجنوده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ولما برزوا ـ أي: بنو إسرائيل ـ لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾ (البقرة: ٢٥٠) وداود ـ عليه السلام ـ هو نبي كريم من أنبياء بني إسرائيل، وكان في ذلك الوقت جندياً من جنود طالوت.

(ج) قوله ـ تعالى ـ ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾: أوضح ما يكون اتفاقا مع عهود حكم طالوت وداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لبني إسرائيل، وما سوى هذه العهود فهي عهود نكبات وهزائم، هذه بعض الأدلة التي تجعلنا نرجح أن المراد بالعباد الذين سلطهم الله ـ تعالى ـ عليهم بعد إفسادهم الأول في الأرض، هم جالوت وجنوده.

أما العباد الذين سلطهم الله ـ تعالى ـ عليهم بعد إفسادهم الثاني، فيرى كثير من المفسرين أنهم «بختنصر» وجنوده.

وهذا الرأي ليس ببعيد عن الصواب، لأنه نكل ببني إسرائيل سنة ٥٨٦ق.م، وساق كثيراً منهم أسرى إلى بابل بالعراق، إلا أننا نؤثر على هذا الرأي، أن يكون المسلط عليهم بعد إفسادهم الثاني في الأرض، هم الرومان بقيادة زعيمهم «تيطس» سنة ٧٠م، وذلك لأمور من أهمها:

(أ) أن الذي يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بني إسرائيل في الفترة التي سبقت تنكيل «تيطس» بهم سنة ٧٠م، كانت أشد وأشنع من الرذائل التي سبقت إذلال «بختنصر» لهم سنة ٥٨٦ق.م، فهم ـ على سبيل المثال ـ قبل ضربات «تيطس» لهم، كانوا قد نقضوا العهود، وقتلوا المصلحين، وكفروا بآيات الله، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم ـ أي: فبسبب نقض بني إسرائيل لعهودهم ـ وكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف ـ أي: لا تفهم ـ بل طبع الله عليها بكفرهم، فلا يؤمنون إلا قليلاً. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم..﴾ (سورة النساء: ١٥٥ ـ ١٥٧).

(ب) ضربات الرومان بقيادة تيطس كانت في ذاتها أشد وأقسى على بني إسرائيل من ضربات بختنصر البابلي لهم، وكانت في آثارها أشنع بكثير مما فعله معهم «بختنصر» فإنهم لم تقم لهم قائمة بعد تنكيل «تيطس» بهم، بل تمزقوا في الأرض شر ممزق، وانقطع دابرهم كأمة، وقد صرح بذلك الأستاذ شاهين مكاريوس في كتابه (تاريخ الإسرائيليين) ص٧٦ ـ طبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ ـ فقال عند حديثه عن تنكيل «تيطس» بهم: «إلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب «أورشليم» على يد «تيطس» تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم بعد ذلك ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها».

هذا، ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم في المرة الأولى هم جالوت وجنوده، وأن المسلط عليهم في المرة الثانية هم الرومان بقيادة «تيطس» إلا أننا نحب أن نقول في نهاية تفسيرنا لهذه الآيات الكريمة ما يأتي:

(أ) إن الإفساد في الأرض قد حدث كثيراً من بني إسرائيل، وأن المقصود من قوله ـ تعالى ـ: ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ إنما هو أظهر وأبرز مرتين حدث فيهما الإفساد منهم، يشير إلى ذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿وإن عدتم عدنا﴾ وقد عادوا إلى شرورهم في فترات تاريخية متعددة، فسلط الله عليهم من سامهم سوء العذاب.

(ب) أن المراد من سياق الآيات، إنما هو بيان سنة من سنن الله في الأمم حال صلاحها وحال فسادها، وقد ساق القرآن هذا المعنى بأحكم عبارة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾.

ويعجبني في هذا المقام قول الإمام الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآيات: «واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام الذين

سلطهم الله على بني إسرائيل في مرتي إفسادهم، بل المقصود أنهم لما أكثروا من المعاصي، سلط الله ـ تعالى ـ عليهم أقواماً قتلوهم...».

(ج) إن القرآن الكريم عندما ساق هذه الآيات الكريمة، يريد لأتباعه في كل زمان ومكان، أن يتعظوا بالأحداث، وأن يعتبروا بأحوال الأمم، وأن يعلموا علم اليقين أنهم إذا أرادوا أن ينجحوا في حياتهم، وأن يسعدوا في دنياهم وآخرتهم، فعليهم أن يخلصوا عبادتهم لخالقهم، وأن يباشروا الأسباب التي شرعها الله ـ تعالى ـ للنجاح وللنصر وللسعادة لأنه ـ عز وجل ـ قد كتب على نفسه أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يهيء لنا من أمرنا رشدا.

****

قال الله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ (الآيات: ٤، ٥، ٦، ٧ سورة الإسراء).

يقول صاحب صفوة التفاسير (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي أخبرناهم وأعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة (لتفسدن في الأرض مرتين) أي ليحصلن منكم الإفساد وما حولها مرتين قال ابن عباس أول الفساد قتل زكريا والثاني قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) أي تطغون في الأرض المقدسة طغياناً كبيراً.

والعدوان وانتهاك محارم الله ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي أولى المرتين من الإفساد ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا ﴾ أي سلطنا عليكم من عبيدنا أناساً جبارين للانتقام منكم ﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي أصحاب قوة وبطش في الحرب شديد، قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما استحلوا المحارم وسفكوا الدماء سلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفاً حتى كاد يفنيهم هو وجنوده، وذلك أول الفسادين ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ أي طافوا وسط

البيوت يروحون ويغدون للتفتيش عنكم واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب لا يخافون من أحد ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ أي كان ذلك التسليط والانتقام قضاءً جزماً حتماً لا يقبل النقض والتبديل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي ثم لما تبتم وأنبتم أهلكنا أعداءكم ورددنا لكم الدولة والغلبة عليهم بعد ذلك البلاء الشديد ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي أعطيناكم الأموال الكثيرة والذرية الوفيرة، بعد أن نهبت أموالكم وسُبيت أولادكم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ أي جعلناكم أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي إن أحسنتم يا بني إسرائيل فإحسانكم لأنفسكم ونفعه عائد عليكم لا ينتفع الله منها بشيء ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي وإن أسأتم فعليها لا يتضرر الله بشيء منها، فهو الغني عن العباد، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي فإذا جاء وعد المرة الأخيرة من إفسادكم بقتل يحيى وانتهاك محارم الله بعثنا عليكم أعداءكم مرة ثانية ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي بعثناهم ليهينوكم ويجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية على وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي وليدخلوا بيت المقدس فيخربوه كما خربوه أول مرة ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ أي وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه تدميراً، فقد سلط الله عليهم مجوس الفرس فشردوهم في الأرض وقتلوهم ودمروا مملكتهم تدميراً ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ أي لعل الله يرحمكم ويعفو عنكم إن تبتم وأنبتم، وهذا وعد منه تعالى بكشف العذاب عنهم إن رجعوا إلى الله ‹عسى› من الله واجبة ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي وإن عدتم إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى العقوبة والانتقام

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ أي وجعلنا جهنم محبساً وسجناً للكافرين، لا يقدرون على الخروج منها أبد الآبدين.

يقول القرطبي في تفسيره للآيات الواردة في القوم الذين سلطهم الله على اليهود آثرت أن أضعها بين يدي القارئ كاملة دون إيجاز أو اختصار.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي أولى المرتين من فسادهم ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه، قاله ابن عباس وغيره. وقال قتادة: أرسل عليهم جالوت فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد. وقال مجاهد: جاءهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بختنصر فوعى حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعوا إلى فارس ولم يكن قتال، وهذا في المرة الأولى، فكان منهم جوس خلال الديار لا قتل، ذكره القشيري أبو نصر. وذكر المهدوي عن مجاهد أنه جاءهم بختنصر فهزمه بنو إسرائيل، ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميراً. ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، ذكره النحاس. وقال محمد بن إسحاق في خبر فيه طول: إن المهزوم سنحاريب ملك بابل، جاء ومعه ستمائة ألف راية تحت كل راية مائة ألف فارس فنزل حول بيت المقدس فهزمه الله تعالى وأمات جميعهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كُتّابه، وبعث ملك بني إسرائيل واسمه صديقة في طلب سنحاريب فأخذ مع الخمسة، أحدهم بختنصر، فطرح في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيلياء ويرزقهم كل يوم خبزتين من

شعير لكل رجل منهم، ثم أطلقهم فرجعوا إلى بابل، ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين، واستخلف بختنصر وعظمت الأحداث في بني إسرائيل، واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا، فجاءهم بختنصر ودخل هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم. وقال ابن عباس وابن مسعود: أول الفساد قتل زكريا. وقال ابن إسحاق: فسادهم في المرة الأولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة، وذلك أنه لما مات صديقة ملكهم مرج أمرهم وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضاً وهم لا يسمعون من نبيهم، فقال الله تعالى له قم في قومك أوح على لسانك، فلما فرغ مما أوحى الله إليه عدواً عليه ليقتلوه فهرب فانفلقت له شجرة فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ هدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها. وذكر ابن إسحاق أن بعض العلماء أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل وإنما المقتول شعيا. وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ هو سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۝٦﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الدولة والرجعة، وذلك لما تبتم وأطعتم. ثم قيل: ذلك بقتل داود جالوت أو بقتل غيره، على الخلاف في من قتلهم. ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ حتى عاد أمركم كما كان ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۝٦﴾ أي أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ من إفسادكم، وذلك أنهم قتلوا في المرة

الثانية يحيى بن زكريا عليهما السلام، قتله ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت، قاله القتيبي. وقال الطبري: اسمه هردوس، ذكره في التاريخ، حمله على قتله امرأة اسمها أزبل. وقال السدي: كان ملك بني إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويستشيره في الأمر، فاستشاره الملك أن يتزوج بنت امرأة له فنهاه عنها وقال: إنها لا تحل لك، فحقدت أمها على يحيى عليه السلام، ثم ألبست ابنتها ثياباً حمراً رقاقاً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك وهو على شرابه، وأمرتها أن تتعرض له، وإن أرادها أبت حتى يعطيها ما تسأله، فإذا أجاب سألت أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست من ذهب، ففعلت ذلك حتى أتى برأس يحيى بن زكريا والرأس تتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا تحل لك، لا تحل لك، فلما أصبح إذا دمه يغلي، فألقى عليه التراب فغلى فوقه، فلم يزل يُلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي، ذكره الثعلبي وغيره. وذكر ابن عساكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال: كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه أخوه، فأراد أن يتزوج امرأة أخيه، فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء، فقال له: لا تتزوجها فإنها بغي، فعرفت ذلك المرأة أنه قد ذكرها وصرفه عنها، فقالت: من أين هذا! حتى بلغها أنه من قبل يحيى، فقالت: ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه، فعمدت إلى ابنتها وصنعتها، ثم قالت: اذهبي إلى عمك عند الملأ فإنه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره، ويقول سليني ما شئت، فإنك لن تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فإذا قال لك ذلك فقولي: لا أسأل إلا رأس يحيى. قال: وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس الملأ ثم لم يمض له نزع من ملكه، ففعلت ذلك. قال: فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى،

وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه، فاختار ملكه فقتله. قال: فساخت بأمها الأرض. قال ابن جدعان: فحدثت بهذا الحديث ابن المسيب فقال أفما أخبرك كيف كان قتل زكريا؟ قلت لا، إن زكريا حيث قتل ابنه انطلق هارباً منهم واتبعوه حتى أتى على شجرة ذات ساق فدعته إليها فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة تكفتها الرياح، فانطلقوا إلى الشجرة فلم يجدوا أثره بعدها، ونظروا بتلك الهدبة فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجرة فقطعوه معها.

قلت: وقع في التاريخ الكبير للطبري فحدثني أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: كان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ، قال: وكان لملكهم ابنة أخ تعجبه... وذكر الخبر بمعناه. وعن ابن عباس: قال: بعث يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، وكان فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الأخت، وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمها أنهم نهوا عن نكاح بنت الأخت قالت لها: إذا دخلت على الملك فقال ألك حاجة فقولي: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سليني سوى هذا! قالت: ما أسألك إلا هذا. فلما أبت عليه دعا بطست ودعا به فذبحه، فندرت قطرة من دمه على وجه الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بختنصر فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ذلك الدم، فقتل عليه منهم سبعين ألفاً، في رواية خمسة وسبعين ألفا. قال سعيد بن المسيب: هي دية كل نبي. وعن ابن عباس قال: أوحى الله إلى محمد | إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. وعن سمير بن عطية قال:

قتل على الصخرة التي في بيت المقدس سبعون نبياً منهم يحيى بن زكريا. وعن قرة بن خالد قال: ما بكت السماء على أحد إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي، وحمرتها بكاؤها. وعن سفيان بن عيينة قال: أوحش ما يكون ابن آدم في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيخرج إلى دارهم، وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيراناً لم ير مثلهم، ويو يبعث فيشهد مشهداً لم ير مثله، قال الله تعالى ليحيى في هذه الثلاثة مواطن: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ (مريم: ١٥) كله من التاريخ المذكور.

واختلف فيمن كان المبعوث عليهم في المرة الآخرة، فقيل: بختنصر. وقاله القشيري أبو نصر، لم يذكر غيره. قال السهيلي: وهذا لا يصح، لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى ابن مريم عليهما السلام بزمان طويل، وقبل الإسكندر، وبين الإسكندر وعيسى نحو من ثلاثمائة سنة، ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعيا، فقد كان بختنصر إذ ذاك حياً، فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس وأتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها. وقال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فغلط عند أهل السير والأخبار، لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيا وفي عهد إرمياء. قالوا: ومن عهد إرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس إلى عمارته في عهد كوسك سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى مولد يحيى ثلاثمائة وثلاثاً وستين سنة.

قلت: ذكر جميعه الطبري في التاريخ رحمه الله. قال الثعلبي: والصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق قال: لما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى - وبعض الناس يقول: لما قتلوا زكريا - بعث الله إليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: خردوس، فسار إليهم بأهل بابل وظهر عليهم بالشام، ثم قال لرئيس جنوده: كنت حلفت بإلهي لئن أظهرني الله على بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، وأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل الرئيس بيت المقدس فوجد فيها دماء تغلي، فسألهم فقالوا: دم قربان قربناه فلم يتقبل منا منذ ثمانين سنة. قال ما صدقتموني، فذبح على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤسائهم فلم يهدأ، (فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ)، فأمر بسبعة آلاف من سبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فقال: يا بني إسرائيل، اصدقوني قبل ألا اترك منكم نافخ نار من أنثى ولا من ذكر إلا قتلته. فلما رأوا الجهد قالوا: إن هذا دم نبي منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فقتلناه، فهذا دمه، كان اسمه يحيى بن زكريا، ما عصى الله قط طرفة عين ولا هم بمعصية. فقال: الآن صدقتموني، وخر ساجداً ثم قال: لمثل هذا ينتقم منكم، وأمر بغلق الأبواب وقال: أخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوس، وخلا في بني إسرائيل وقال: يا نبي الله، يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أبقي منهم أحداً. فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله عز وجل، ورفع عنهم القتل وقال: رب، إني آمنت بما آمن به بنو إسرائيل وصدقت به، فأوحى الله تعالى إلى رأس من رؤوس الأنبياء: إن هذا الرئيس مؤمن صدوق. ثم قال: إن عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني

لا أعصيه، فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الإبل والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم إلى العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، ثم انصرف عنهم إلى بابل، وقد كاد أن يفني بني إسرائيل.

قلت: قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة، وقد كتبناه في (كتاب التذكرة) مقطعاً في أبواب في أخبار المهدي، نذكر منها هنا ما يبين معنى الآية ويفسرها حتى لا يحتاج معه إلى بيان، قال حذيفة: قلت يا رسول الله، لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر. فقال رسول الله ﷺ: (هو من أجَلّ البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودُر وياقوت وزمرد): وذلك أن سليمان بن داود لما بناه سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف. قال حذيفة: فقلت يا رسول الله، وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس. فقال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة، وهو قوله: «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً» فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناع فاحتملوها على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن

يستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس ورده الله إليه كما كان أول مرة وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (الإسراء: ٨) فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حلي جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أودعه في كنيسة الذهب.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ وهذا مما أخبروا به في كتابهم. و«عسى» وعد من الله أن يكشف عنهم. و«عسى» من الله واجبة. ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامه منكم، وكذلك كان، فكثر عددهم وجعل منهم الملوك. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم يعطون الجزية بالصغار، وروي عن ابن عباس. وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره. وقال القشيري: وقد حل العقاب ببني اسرائيل مرتين على أيدي الكفار، ومرة على أيدي المسلمين.

****

بنو إسرائيل وموسى

إن تاريخ بني إسرائيل يعطينا صوره واضحة على أن علاقتهم بالله وأنبيائه كانت بين مد وجزر فكانوا دائماً يتأرجحون بين الإيمان والكفر وتوالت فيهم الأنبياء وكانوا مع النبي الواحد يؤمنون به تارة ويكفرون به تارة أخرى وتاريخ بني إسرائيل لا نستطيع أن نحيط به في هذا البحث المتواضع إنما سنعرض مقتطفات يسيره من تاريخهم.

من ذلك أنهم لما خرجوا من مصر صحبة موسى عليه السلام، أمروا بدخول الأرض المقدسة، التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل (النبي المسلم): وقتال من فيها من العتاة الجبابرة الكفرة، فنكلوا عن قتالهم، وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله في التيه عقوبة لهم.

ولما خرج بنو إسرائيل من التيه بعد أربعين سنة ـ وكان قد هلك الجيل الجبان. وهذه سنة ربانية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ (محمد:٣٨). مع يوشع بن نون ـ عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح.

ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب سجدا: أي شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، ورد بلدهم عليهم، وإنقاذهم من التيه والضلال، لكنهم دخلوا على غير الهيئة التي أمروا بها.

وقد روى عن رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة. فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا: حبة في شعير».

وكان العقاب الرباني، رجزاً من السماء، سواء كان طاعوناً أو وجعا وسقما كما ورد في حديث محمد ﷺ: «الطاعون رجز (عذاب)، عذب به من كن قبلكم». إن هذا الوجع السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم»[1].

****

(١) الطريق إلى بيت المقدس- الدكتور جمال عبد الهادي.

فترة التمكين في عهد يوشع بن نون

يقول الرسول ﷺ عن يوشع ابن نون عليه السلام:

«غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني منكم رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه»(١).

وهكذا مكن الله لبني اسرائيل بقيادة يوشع بن نون من دخول بيت المقدس لما كانوا صالحين ممتثلين لأوامر الله لكن لما بدأ الانحراف والتمرد يتسلل إلى قلوبهم سلط الله عليهم جالوت وجنوده فأخرجوهم من ديارهم لكن الله قيض لبيت المقدس من يسترده وهم طالوت وجنوده ومنهم داود عليه السلام يقول الأستاذ جمال عبدالهادي في كتابه القيم الطريق إلى بيت المقدس ص٢٦ وما بعدها:

«هذه الدولة الإسلامية قد قامت على أكتاف المسلمين المجاهدين من بني إسرائيل، ولهذه الدولة وقيامها على أرض الإسراء والمعراج قصة بدايتها: قام بأدوارها طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ في مواجهة جالوت وجنوده، فما هي هذه القصة؟

يقول الله عز وجل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) ﴾.

وجالوت كما قلنا جبار غلب على أرض بيت المقدس، وأخرج أهلها وأبناءهم منها، وذلك في فترة لاحقة لتاريخ يوشع بن نون.

والسبب في ذلك، أن الجيل الذي سكن بيت المقدس، وسكن الأرض المباركة بعد موسى ـ عليه السلام ـ انحرف عن الصراط السوى كما شاهدنا وركن إلى الدنيا، واستمرأ حياة الترف والرذيلة. وكانت النتيجة أن سلط الله عليهم جباراً طاغية هو جالوت يخرجهم وأبناءهم من الأرض المقدسة. وهذا إمضاء لسنة ربانية: ‹ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم›.

‹تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا› كما أن اليهود كفروا بنبوة ورسالة هود وصالح عليهم السلام وخاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ. بل إنهم نسبوا إلى بعض الأنبياء والرسل صفات ذميمة يتنزهون عنها مثل السكر والزنى والقتل وغير ذلك. هؤلاء اليهود رفضوا الإسلام، ورفضوا شريعة الله ومنهاجه وحرفوا التوراة التي أنزلت على الرسول المسلم موسى عليه السلام. كما أنهم قتلوا الأنبياء بغير حق ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي﴾».

****

فترات التمكين

وهكذا انتهى تاريخ بني إسرائيل من أرض فلسطين باستيلاء الرومان على فلسطين بقيادة (تيطوس) وقتله لبني إسرائيل الذين كانوا في بيت المقدس وسبي ذراريهم، وأمر بالمدينة فنقضت أحجارها حتى لم يترك فيها حجراً على حجر وكان ذلك عام ٦٣ قبل الميلاد[١].

ويخلص مما تقدم أن فترات التمكين في فلسطين كانت لبني إسرائيل الذين اتبعوا أنبيائهم وما أنزل إليهم من ربهم هؤلاء هم الذين دخلوا فلسطين مع يوشع بن نون وطهروا بيت المقدس من الجبارين عبدة الأوثان وهم الذين قاتلوا في سبيل الله مع نبي الله داود قاتلوا جالوت الذي أغار على بيت المقدس.

ومن المعلوم كما سلف القول أن بني إسرائيل طوال تاريخهم الممتد عبر الزمان كانوا يتأرجحون بين الكفر والإيمان حتى في فترة إيمانهم سرعان ما يرتدون فينزل الله بهم عقابه من تسليط الجبارين عليهم ومن التيه في الصحراء ومن مسخهم قردة وخنازير ثم يتوبون يخرج منهم جيل مسلم تائب فيتوب الله عليهم ويمكن لهم في أرض فلسطين.

وأريد أن ألفت النظر إلى حقيقتين كثيرا ما يغفل الناس عنهما: أولى هذه الحقائق أن بني إسرائيل كان لهم وجود في فلسطين باعتبارهم مسلمين تابعين لأنبيائهم ودخلوها تحت لواء الأنبياء الصالحين وأخرجوا منها الجبارين

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج١ ص٥٨١.

عبدة الأوثان ومكن الله بهم لدينه في الأرض فلما حادوا عن دين الله وعاثوا في الأرض فساداً عاقبهم الله وأنزل بهم العذاب على النحو الذي سلف ذكره.

ثاني الحقائق: لا صلة البتة بين بني إسرائيل الحاليين وبني إسرائيل الذين مكنهم الله في فلسطين فترة من الزمن فهؤلاء انتهوا وخرج جيل تمرد على الأنبياء وقتل منهم الكثير فسلط الله عليهم الرومان فقتلوا الرجال وسبوا النساء واستمر بيت المقدس تحت يد الرومان حتى فتحه عمر رضي الله عنه.

ومن هنا نخلص أن اليهود الحاليين الذين تجمعوا من كل حدب وصوب لا يمتون بصلة إلى يعقوب (إسرائيل) نبي الله الذي يقول الله عنه ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة آية: ١٣٢ وما بعدها).

****

داود نبي مسلم[1]

يقول الدكتور جمال عبد الهادي في بحثه القيم ليس لليهود حق فى فلسطين .. ولا يصح أن ينتسبوا إلى نبي الله داود عليه السلام الذي جعله الله خليفة ومكنه في أرضه الذي قال تعالى في شأنه: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾(سبأ: ١٠، ١١).

﴿لَّهُ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء:٧٩، ٨٠).

﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب. إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (ص: ١٧-٢٠).

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ (ص: ٢٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده» وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) راجع سلسلة مؤلفات الدكتور جمال عبد الهادي ليس لليهود حق في فلسطين والطريق إلى بيت المقدس وغيرها.

«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى».

وبعد وفاة نبي الله داود عليه السلام ورثه ابنه نبي الله سليمان عليه السلام.

****

سليمان نبى مسلم

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ (النمل: ١٥ ـ ٤٤).

وقد مكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسليمان ـ عليه السلام ـ على هذه الأرض المباركة، ووهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، والذي يعترف به

سليمان ـ عليه السلام ـ والذي يعبر عنه قول الله سبحانه وتعالى: {وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾} (النمل: ١٦).

فقد كان سليمان ـ عليه السلام ـ يعرف لغة الطير: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ (النمل: ١٦).. ولغة النمل (مع سماع أصواتها رغم خفوتها)، ولغة الجن والإنس. وكان له جيش ينتظم فيه جنود من الجن والإنس: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} (النمل: ١٧).. أي بلغة العصر كان سليمان يملك قوات جوية (طيران) وقوات بحرية: ‹شياطين كل غواص وبناء.. وقوات أرضية (برية)، تتميز عن جيوش العصر الحديث بضمها جنوداً من الجن، يرون الناس والناس لا يرونهم.

كما مكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسليمان ـ عليه السلام ـ بإمكانيات مادية وعلمية، استخدمها في إحضار عرش ملكة سبأ من جنوب الجزيرة العربية (دولة سبأ) إلى بيت المقدس في غمضة عين (مع أنها مسافة كان يقطعها الناس في شهرين ذهاباً وإياباً).

واستخدمها أيضاً في تمريد الصرح.

كما سخر الله ـ سبحانه وتعالى ـ له الرياح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب.

وكان سليمان ـ عليه السلام ـ نبياً شاكراً، لقد وظف كل هذا التمكين الرباني في الدعوة إلى الإسلام.

ثم أن سليمان ـ عليه السلام ـ نبي مسلم وإلى الإسلام كان يدعو.

ـ أن الدولة التي كان يحكمها سليمان ـ عليه السلام ـ وعاصمتها بيت

المقدس، كانت دولة إسلامية، دينها الإسلام، وبه تعمل، وإليه تدعو الناس.

- أن الواجب الذي أنيط بسليمان - عليه السلام - الرسول المسلم تحقيقه على أرض الشام وعلى أرض الجزيرة العربية وغيرها - هو إقامة حكم الله عز وجل.

- أن سليمان - عليه السلام - قام بتجديد وإكمال مسجد بيت المقدس (المسجد الأقصى) الذي أسسه آدم عليه السلام، وقام بتجديده وعمل إضافات له أكثر من شخص منهم إبراهيم ويعقوب وداود - عليهم السلام ..

أي أن سليمان - عليه السلام - لم يبن هيكلاً كما زعمت يهود، ولكنه بنى مسجداً يتعبد فيه المسلمون لله عز وجل. وهذا أيضاً يدحض أيضاً ادعاء النصارى أن المسجد الأقصى كان كنيسة قد أقامها الإمبراطور جستنيان تبجيلاً للعذراء في الأصل، وحولها العرب إلى مسجد بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وللمسجد الأقصى أهمية وفضيلة لكونه مسجد الأنبياء، والدليل حديث الرسول محمد ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى».

ومن هنا يتضح لنا التشويه والتزييف الذي تعرض له تاريخ داود وسليمان - عليهما السلام - على أيدي اليهود ومن شايعهم من الصليبيين ومن أبناء العرب والمسلمين.. وأن هذا التشويه والتزييف المتعمد يهدف إلى تربية أجيال لا تعرف حقيقة تاريخها الإسلامي وحقيقة العلاقة التي تربطها بأمتها الإسلامية على امتداد الزمن، وحقيقة المقدسات التي يجب أن تحرص عليها.

وقد نجحت الخطة أيما نجاح، فقد نشأت أجيال تحمل أعلى الدرجات العلمية، سلمت لليهود بأن لهم حق في الأرض المقدسة (انظر: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، ذرية إبراهيم عليه السلام).

روى الإمام البخاري حديثاً: «حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبدالواحد، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم التيمي عن أبيه قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قال، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه».

وقد ورد في شرح الحديث:

(أ) أن المسجد الحرام بمكة المكرمة كان أول بيت وضع لعبادة الله.

(ب) المسجد الأقصى يعني مسجد بيت المقدس، قيل الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة.

(ج) أن أول من أسس المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام، ليكون قبلة لبعض ذريته.

(د) أن ما قام به يعقوب ومن قبله إبراهيم ـ عليهما السلام ـ هو رفع القواعد لهذا المسجد.

(هـ) أن ما قام به داود ـ عليه السلام ـ هو تجديد لذلك، وابتداء بناء فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان عليه السلام، انظر: فتح الباري، ج٦، ص٤٠٧ ـ ٤١٠، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٣٦ ـ ١٣٧، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٨٣.

كما أخرج النسائي بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثة: حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكا، لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل، حين فرغ من بناء المسجد، ألا يأتيه أحد، لا ينهزه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه. فجاء إشكال بين الحديثين، لأن بين إبراهيم وسليمان آمادا طويلة. قال أهل التواريخ: أكثر من ألف سنة فقيل: إن إبراهيم وسليمان عليهما السلام إنما جددوا ما كان أسسه غيرهما. وقد روى أن أول من بنى البيت آدم عليه السلام، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس. من بعده بأربعين عاما، ويجوز أن تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكل محتمل، والله أعلم».

ويخلص الدكتور جمال عبدالهادي في أبحاثه القيمة إلى وجوب التفرقة بين اليهود الحاليين وبين أنبياء الله المسلمين إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان وأن أرض الشام ومنها فلسطين وبيت المقدس كانت دوما محكومة بهؤلاء الأنبياء المسلمين الذي خلصوها من الجبارين وأن دخول هؤلاء الأنبياء المسلمين إلى فلسطين وحكم إياها كان بأمر من الله سبحانه وتعالى وكان مرجعه في كل ذلك هو القرآن الكريم ومن أصدق من الله حديثاً فيقول في كتابه (ليس لليهود حق في فلسطين هامش ص٣٠، ٣١).

«هل هناك علاقة تربط ما تسمى بدولة إسرائيل الآن ونبي الله المسلم (يعقوب عليه السلام)؟ والإجابة بالنفي، لا يوجد علاقة، إنما هو تشابه في الأسماء لقد عمد اليهود إلى إطلاق اسم إسرائيل على أرض فلسطين

المغتصبة إمعاناً في التضليل وزعماً منهم أنهم ينتسبون إليه، وإسرائيل عليه السلام يبرأ إلى الله منهم في الدنيا والآخرة، لأنه نبي مسلم: ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ فهل اليهود مسلمون؟؟؟

وقد يطرح القارئ سؤالاً مباشراً، هل من يسمون بالإسرائيليين اليوم (اليهود) أن يدعوا وراثة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان عليهم السلام الذين كانت لهم الإمامة والرسالة على أرض فلسطين؟ والإجابة لا يجوز، للأسباب الآتية: وهي أن اليهود كفروا بالله، ورفضوا الاعتراف له بالألوهية والربوبية، وقالوا سمعنا وعصينا، ونسبوا إلى الله الولد ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ بل نسبوا إلى الله كل الصفات الذميمة فهو يندم ويجهل وينصب ويأكل ويصارع.

****

أخطاء يجب أن تصحح

يقع كثير من الباحثين المسلمين الذين يكتبون عن فلسطين في خطأ كبير حينما يتناولون تاريخ بني إسرائيل فهم لا يفرقون بين الصالحين منهم الذين اتبعوا أنبيائهم وقاتلوا الجبارين في فلسطين وبين المارقين منهم والخارجين عن رسالات الأنبياء. وقد يكون مبعث هذا الخطأ أن هذه الأبحاث كتبت بشعور قومي أيام كان هذا الشعور يطغى على مشاعر الناس أثناء حكم عبدالناصر الذي كان يعدهم بتحرير فلسطين حتى أنساهم هذا الشعور هذه الحقائق الثابتة في القرآن الكريم. وهذا لا يخدم قضية فلسطين بقدر ما يخدم اليهود من الناحية التاريخية لأنه يساوي بين قتلة الأنبياء الخارجين على رسالات السماء وبين بني إسرائيل الذين اتبعوا الأنبياء ويضع الجميع في خندق واحد وإن كان لا يوجد من بني إسرائيل الآن إلا الطائفة الأولى إلا أن القرآن الكريم تناول باستفاضة الحديث عن بني إسرائيل وتاريخهم وخلص إلى أنهم في الإفساد الثاني سلط عليهم من سامهم سوء العذاب وأخرجهم من فلسطين ويهود اليوم أحفاد الجيل المغضوب عليه من بني إسرائيل والذي أقام في فلسطين إقامة عرضية أيام صلاحهم واتباعهم لأنبيائهم فمكنهم الله من فلسطين لطرد الجبارين والطغاة. والأرض لله يورثها الصالحين من عباده واليهود فقدوا أسباب البقاء فطردوا من فلسطين بحكم الله.

ومكن الله للمسلمين في فلسطين على يد عمر بن الخطاب ومن الأبحاث التي قرأتها عن قضية فلسطين بحث بعنوان «استرداد بيت المقدس» للدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق منشور في مجلة المؤتمر الخامس

لمجمع البحوث الإسلامية بتاريخ ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٧٠/٢/٢٨ يقول فيه:

«ولقد رحل هؤلاء اليبيوسيون إلى أرض مدينة القدس حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد وأستوطنوا بها وصدوا غارات العبرانيين التائهين بصحراء سيناء ولما كان العبرانيون يبحثون لهم عن مستقر فإنهم استمروا في دخول «يبوس» وأخيراً وبعد رأي تمكنوا في عهد داود عليه السلام حوالي سنة ١٤٠٩ قبل الميلاد.

وفي هذه الأرض نشأ إبراهيم وأبناؤه حتى نزح عنها حفيده يعقوب عليه السلام، هو وأبناؤه قاصدين مصر.

وهنا تنقطع صلتهم بهذه الأرض، حتى جاءوها غزاة بقيادة (يوشع) حيث استولى على (أريحا) وقتل جميع سكانها ودمرها وقومه عن آخرها، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتذكر التوراة أن غزوهم لفلسطين صادف مقاومة باسلة عنيدة من الكنعانيين أو الفلسطينيين أصحاب البلاد ويذكر سفر صموئيل الأول ٤: ٢ «واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب، فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين، وضربوا..».

ويذكر هذا السفر أيضاً أن إسرائيل: «... هربوا كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل».

وتؤكد لنا التوراة أيضاً غربة اليهود عن القدس ففي سفر القضاة ١٩: ١١ و١٣ نجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف يبوس «... وفيما هم عند يبوس، والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه، ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا».

إذن فلقد دخل اليهود يبوس في عصر جد متأخر، على يد داود عليه السلام، واضطر أهل البلاد الأصليين إلى التعايش مع الغزاة مرغمين.

ويؤكد المؤرخ «برستد» أنه حتى في الفترة التي كان لإسرائيل فيها كيان ونفوذ في «يبوس» وفي عصرهم الذهبي من داود إلى سليمان عليهما السلام، كان ملك إسرائيل آنذاك بمثابة وال على فلسطين تحت السيطرة المصرية.

يصور هذا البحث داود ويوشع بن نون عليهما على أنهم غزاة لفلسطين في حين أنهما نبيين من أنبياء بني إسرائيل دخلوا فلسطين بأمرمن الله لمواجهة الجبارين عبدة الأصنام ويوشع الذي قاد بني إسرائيل نبي بعثه الله بعد موسى عليهما السلام بعد خروجهم من التيه.

يقول الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسيني في بحث له عن بيت المقدس منشور في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٨هـ ستمبر ١٩٦٨م:

«واستولى العبرانيون على المدينة في القرن العاشر ق.م على يد الملك داود الذي اتخذها عاصمة ملكه ووحد الأسباط وعزم على بناء الهيكل ولكنه توفي فبناها ابنه سليمان ونقل إليه تابوت العهد وصار الهيكل بيتا مقدساً يذكر فيه اسم الله وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم فعبدو الأوثان وتنكروا لرسالة الله الواحد الأحد وارتكبوا الفواحش وظلموا وتكبروا وقتلوا الأنبياء بغير حق فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وسلط عليهم أعداءهم: فقضى الآشوريون سنة ٧٢١ق.م على مملكة إسرائيل وقضى البابليون سنة ٥٨٥ق.م على مملكة يهوذا ودمروا الهيكل وسبوهم وعانى

اليهود في السبي ما عانوا ثم أحسن إيهم الفرس وأعادوا من أراد منهم إلى بيت المقدس سنة ٥٣٨ق.م. ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ولم يصغوا إلى أنبيائهم فضربهم الرومان مرتين، مرة سنة ٧٠م على يد الامبراطور تيطوس وأحرق الهيكل ومرة ١٣٥م.

ويسير على النهج الخاطئ الدكتور مصطفى رمضان رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر ففي مقال له نشر بالأهرام يقول:

«ولما بعث الله نبيهم موسى عليه السلام خرج بهم من مصر باتجاه فلسطين، لكنهم تمردوا عليه وعبدوا العجل بعدما رأوا معجزات الله على يد موسى الذي نجاهم من ظلم فرعون، وبعد موت موسى عليه السلام غزوا فلسطين في هجمة وحشية بقيادة قائدهم اسمه يوشع ودخلوا أريحا بلد الجبارين بالحيلة واهلكوا جميع من في المدينة.

ويضيف الدكتور مصطفى رمضان قائلاً: إن سبب تخليهم عن أريحا هو أن يوشع وقف بعدما حرق وأباد كل من فيها وقال ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا. (انظر التورا: سفر يوشع).

وعلى نفس المنوال ينسج عثمان بك زاده في كتابه المال والاعلام في الفكر اليهودي (ط١٩٩٩ دار النفائس ص٤٣، ٤٤):

حينما خرج إبراهيم وقومه من الجزيرة العربية توجهوا إلى بلاد ما بين النهرين، ولم تكن إقامتهم هناك إلا لفترة قصيرة، حيث جذبتهم سريعاً خصوبة أرض كنعان المثلى، وكان هذا الاجتياح السلمي الأول للعبريين مناسباً جداً لنواياهم. فحينما دخل الغزاة تلك البلاد، عرفوا كيف يستفيدون

من الفوضى والحروب الداخلية التي ألحقت الأضرار بشعوب سوريا، بهدف وضع اليد على ثروات البلاد.

إلا أنه بعد وقت قصير نجد إبراهيم وقومه يتوجهون نحو مصر، البلد الذي اشتهر دائماً بثرواته وخصوبته. ويرد العبريون سبب هذه الهجرة (هذا الغزو) الغريبة إلى القحط الذي أصاب بلاد كنعان حيناً من الزمن، إلا أنه يبدو أن هذا القحط لم يكن في الحقيقة إلا تعطشاً قوياً لدى اليهود لإرواء غليلهم من منبع الكنوز الفرعونية.

وعلى غرار إبراهيم بذل إسحاق ما عنده لدفع السيطرة المالية إلى الأمام ولابتلاع ثروات أهل البلاد ولتحقيق هذا الهدف ضاعف الجهود واستقر في أراضي الفلسطينيين ولإخفاء نواياه رأى أنه من الضروري استخدام حجة المجاعة مرة أخرى وبهذا استطاع دخول هذا القطر».

هذا الكلام عار عن الصحة ولم يقل به أحد إلا الذي يريد الطعن في الأنبياء من المستشرقين.

يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧).

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة: ١٣٣).

****

بداية الحركة الصهيونية في العالم

كانت أحلام العودة إلى فلسطين تراود بني إسرائيل وهم في السبي البابلي رغم انحرافهم وضلالهم ومن ثم بدأت فكرة الصهيونية «على أساس أنها تعبر عن الخلاص القومي لليهود ووجوب عودتهم إلى فلسطين ثم تبلور هذا الاتجاه وبرز في الفكر اليهودي عندما دمر الامبراطور الروماني إيليوس هادريكان القدس عام ١٣٥م ثم أقام عليها مدينة أسماها «إيليا كابيتولينا» بعد أن قضى قضاءً مبرماً على الكيان الذاتي والديني لليهود[١].

ورغم تشتت اليهود وتفرقهم في جميع أنحاء العالم إلا أنهم ظلوا متمسكين بنصوص العهد القديم والتلمود وغيرها واشربت قلوبهم هذه التعاليم في أي مكان وجدوا فيه وأصبح كل يهودي يؤمن تماماً بأن اليهود شعب الله المختار كما ورد في العهد القديم.

وهذا كذب لأن شعب الله المختار كان هو الجيل المسلم من اليهود والذي انتهى.

جاء في العهد القديم: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لأن جميع الأرض لي. وأنتم تكونون لي مملكة أحباراً وشعباً مقدساً هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل»[٢].

---

(١) اليهود في العالم القديم أ. د. مصطفى كمال/ د. سيد راشد، دار القلم.

(٢) سفر الخروج الإصحاح ١٩.

«لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»[1].

ويؤكد ذلك ويزيد عليه ما ورد في التلمود من احتقارهم لغير اليهود واعتبارهم حيوانات تخدم اليهود فقد جاء في نصوص التلمود:

«الخارج عن دين يهود حيوان على العموم، فسمه كلباً، أو حماراً، أو خنزيراً. والنطفة الذي هو منها هي نطفة حيوان. وقال الحاخام أباربانيل: المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات. وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود، الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية. كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة. فإذا مات خادم يهودي أو خادمتة وكانا من المسيحيين فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له»[2].

ومن خلال هذه المفاهيم وتلك التطورات عاش اليهود حياتهم في جميع أنحاء العالم لا ولاء للدولة التي يعيشون فيها وذلك من منطلق نظريتهم العنصرية. ومفادها أنهم شعب له خصائصه التي تجعله معزولاً متفرداً لا يمكن له أن ينصهر في أية بوتقة. وبكلمة أخرى يتعاطى يهود على أن واحدهم لا ينخرط في صَيغة وطنية أو قومية، وبالتالي انتماؤه هو لهويته اليهودية، أي يرفض كل انتماء إلا الانتماء القائم على أساس الدين[3].

---

(١) سفر تثنية الاستراع الاصحاح ٩. (٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود.
(٣) المال والاعلام في الفكر اليهودي ـ دار النفائس.

يقول مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل في هذا الموضوع: «لقد ألمحت فيما سبق إلى مسألة إدماجنا، ولا أريد أن يفهم من كلامي ولو للحظة واحدة أنني أرغب في نهاية كهذه.

إن شخصيتنا القومية مشهورة تاريخياً شهرة لا مراء فيها، وعلى الرغم من كل إذلال فإنها أقوى من أن تجعل القضاء عليها أمراً مرغوباً فيه.

.. وهكذا، سواء رغبنا أم لم نرغب، فإننا الآن، وسوف نظل، جماعة تاريخية ذات خصائص عامة لا يمكن أن تخطئها العين. إننا شعب واحد.. لقد جعلنا نتوحد كما حدث موارباً في التاريخ أن الكروب تجمعنا ومن ثم توحدنا... وفجأة تكتشف قوتنا... نعم، إننا من القوة حيث نستطيع أن نقيم دولة... وفي الحقيقة فودجية... إننا نملك كل الموارد الإنسانية والمادية اللازمة لهذا الغرض»[1].

واحتفاظ اليهود بهويتهم وعدم ذوبانهم في قوميات البلاد التي عاشوا فيها مرجعه إلى ثلاثة أشياء:

١ ـ رابطة التقاليد الدينية والتاريخية.

٢ ـ رابطة الدم.

٣ ـ غريزة التضامن.

****

(١) الدولة اليهودية ـ تيودر هرتزل ـ دار الزهراء.

وسائل السيطرة على العالم

أولاً: الربا

«لقد نعت الله سبحانه وتعالى اليهود في القرآن الكريم بأنهم يأخذون الربا ويأكلون السحت وأن أسلوبهم في كسب المال هو التحايل. هذا واقع بني إسرائيل لقرون عديدة حينما يتنكرون لرسالة السماء واستمرت هذه الصفات التي نعتهم بها القرآن الكريم إحدى وسائلهم في السيطرة على العالم وهو أسلوب ماكر وخبيث وله تأثيره البالغ. يعتمد على الحيلة بقدر ما يعتمد على القوة والسيطرة على العالم عن طريق الربا وهذا الطريق يمثل ظاهرة خاصة وفريدة. في هذه الحالة، حيث تحل المصلحة مكان القوة أو مكان الإيمان، وهي أساس أقوى بكثير من الأساسين السابقين، إذ لا يستطيع أي إنسان أن يكون بمنأى عن تأثيرها. فالمصلحة تشكل مركزاً تتجه إليه الأطماع عند الكثير من الناس، والذي يخرج من ذلك منتصراً يصل إلى السيطرة الشاملة.

إن الإخضاع المرتكز على أساس الربا ليس انتصاراً للقوة على الضعف، ولا انتصاراً للمعرفة على الجهل، إنه انتصار للحيلة والخداع على النية الطيبة والتساهل. إن المصلحة الفاعلة والناشطة تسعى إلى ابتلاع وسائل عيش وثروات الشعوب وتنتهي إلى إخضاعها لإرادة الغازي.

وبحسب كل التقديرات، فإن الشعب اليهودي هو أول من اكتشف القوة الخفية لمبدأ الفائدة (الربا ـ المصلحة)، وهو الوحيد الذي عرف استخدامه

وسيلة للسيطرة على الآخرين. وفي دراسة التاريخ، يذهلنا أن اليهود استخدموا منذ الأزمنة البعيدة هذا الأسلوب كسلاح لمواجهة غيرهم، وكقاعدة يقيمون عليها بنيانهم الاجتماعي والسياسي[1].

****

(١) المال والإعلام في الفكر اليهودي: عثمان بك زاده تقديم أسعد السحمراني، طبعة دار النفائس.

المؤسسات المالية اليهودية
في العصور الوسطى

«وبينما كانت أوروبا مقسمة دولاً وممالك عدة، انتشر اليهود في كل الأسواق وأقاموا فيها للعمل بالربا والتجارة. ومع أن ثرواتهم، وخصوصاً الوسائل التي اعتمدوها لجنيها، جرت عليهم أحياناً اضطهاداً شديداً، إلا أن هذا العنف لم يكن إلا مؤقتاً، وغير قادر على وقف المد المتصاعد للعدوان اليهودي الذي كان يكسب المواقع شيئاً فشيئاً. وفي الواقع، فقد قامت مؤسسات يهودية صغيرة في أسواق أوروبا الرئيسية، فجماعة منهم، على سبيل المثال، اتخذت لها موقعاً في البندقية، وجماعة أخرى في جنوى، فيما قامت مستعمرات في المدن الرئيسية في أسبانيا وهولندا وألمانيا وبولونيا إلخ. ومع أن هذه الجماعات كانت متفرقة فوق مساحة شاسعة، إلا أنها شكلت مؤسسة متراصة تعمل بدافع من قوة محركة: إغراء الربح» (المال والاعلام في الفكر اليهودي ص٤٠).

واستمر اليهود يعملون بدأب وجدية في تدعيم مؤسساتهم الاقتصادية الربوية في سبيل السيطرة على العالم إلى أن كان العصر الحديث ظهر اليهود كقوة لها تأثيرها المالي الذي تغلغل في جميع أنحاء العالم والمؤسسات اليهودية التجارية الكبرى في العالم كله معظمها يسيطر عليها اليهود ومعظم شركات الأغذية الكبرى ذات المنتجات المتعددة والمنتشرة فروعها في جميع أنحاء العالم وكذا العديد من المطاعم والمراكز التجارية وبعض شركات السيارات العالمية كل هذه يسيطر عليها اليهود وشركات الإنتاج السينمائي العالمي وغير ذلك مما تعجز عن حصره.

المرابون يتحولون إلى أصحاب مصارف

«ليس من قبيل المبالغة التأكيد أن لا أحد بيننا يستطيع القول إنه بمنأى عن إتاوة يؤديها للقوة اليهودية، لأننا جميعاً ندفع لهم الإتاوة سواء على مداخيلنا أو منازلنا أو على الخبز الذي نأكله والثياب التي نرتديها».

هذا النمو المذهل لقوة اليهود المالية تأتي طبيعياً من التطور الفردي الذي حصل وسط جماعة اليهود. فقد تحول المرابون الصغار، في كل مكان، إلى أصحاب مصارف أو سماسرة بورصة. واليهود الذين كانوا رحلاً في ما مضى باتوا مضاربين مقيمين، وبائعو الثياب القديمة أنشأوا مشاغل للصناعة ومخازن فاخرة»[1].

والظاهرة الأبرز في أوروبا في استخدام المال كباب للنفوذ اليهودي كانت ظاهرة ذلك المرابي الألماني اليهودي من فرانكفورت آمشل ماير باور (١٧٤٣ ـ ١٨١٢) والذي كان صاحب دكان لبيع المجوهرات رفع شعاراً له درعاً أحمر، والدرع الأحمر بالألمانية Roth Schild روتشيلد، وكان له خمسة أولاد ذكور هم: أنسليم ـ ألومون ـ ناثان ـ كارل ـ جيمس. وقد أسس آمشل شركة مصرفية ربوية كانت من أسس إطلاق مشاريع البنوك الربوية في أوروبا، وبعدها في أمريكا، حيث كانت الكنيسة تحرم الربا.

وعرفت أسرته باسم روتشيلد، وقد انطلقت من فرانكفورت إلى سائر أوروبا. وقد توزع أولاد روتشيلد على الشكل التالي: أنسليم (ألمانيا).

---

(١) المرجع السابق ص٦٠، ٦١.

ألومون (النمسا) ـ ناثان (بريطانيا) ـ كارل (إيطاليا) ـ جيمس (فرنسا)، وأوفد حفيده شوتبرغ إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد توسع النفوذ اليهودي في أوروبا وبعدها في أمريكا من خلال المال والعمل المصرفي الربوي «ونستطيع أن نلمس بوضوح آثار تلك السيطرة اليهودية المطلقة حين نرى مثلاً قطع عملة قديمة بولونية وهنغارية تحمل نقوشاً يهودية.

ويكشف لنا إلحاح يهود بهذه الصورة للسيطرة على النقد وجعل إصدار العملة في أيديهم، إن المرابين اليهود اعتنقوا منذ تلك الأزمنة الشعار الذي اشتهر به بعد ذلك بردح طويل آمشل مايز باور (١٧٤٣ ـ ١٨١٢م) وهو: دعنا نتولى إصدار النقد في أمة من الأمم والإشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسن القوانين لهذه الأمة. وقد طرح آمشل باور هذا الشعار على شركائه ليشرح لهم جوهر الدافع الذي حدا بالمرابين اليهود السعي للحصول على السيطرة على مصرف إنكلترا عام ١٦٩٤م»[١].

وأسرة مصارف روتشيلد لا تزال حتى يومنا هذا تمارس نفوذاً اقتصادياً ملحوظاً، والروتشيلديون لم يقتصر نشاطهم على الربا والمصارف بل مارسوا العمل في الصناعة والتجارة وسائر المرافق الاقتصادية[٢].

وبالإضافة إلى مؤسسة روتشيلد تبرز هذه الأيام أسماء يهودية لها نفوذها المالي الذي توظفه لصالح الصهيونية ودولة العدو الإسرائيلي. من هذه الأسماء جورج سوروس الأمريكي المجري الأصل، والذي دخل عالم البورصة وجنى أرباحاً هائلة تستخدم كقوة ضغط لصالح العدو. ومن

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

المؤسسات المصرفية تبرز أسماء: سيتي بنك، وأميركان إكسبرس، وغولدمان ساخس وغيرها كثير.

إن السيطرة الاقتصادية تشكل المشروع الصهيوني الأبرز هذه الأيام، ويترجم المشروع من خلال فكرة إسرائيلية ـ أمريكية باسم سوق الشرق الأوسط الذي يريده يهود ساحة لنشاطهم الاقتصادي ليجتاحوا الاقتصاد العربي باسم التطبيع.

لذلك نجد شخصاً مثل شمعون بيريز في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» الصادر سنة ١٩٩٤ يخصص معظم هذا الكتاب للشأن الاقتصادي. ويكفي أن نذكر ذلك من فهرس الكتاب لنجد الفصل السادس بعنوان: من اقتصاد الحروب إلى اقتصاد السلام، والفصل السابع بعنوان: مصادر الاستثمار والتمويل، والفصل الثامن بعنوان: الحزام الأخضر، والفصل التاسع بعنوان: المياه الحية، والفصل العاشر بعنوان: البنية التحتية للنقل والمواصلات، والفصل الحادي عشر بعنوان: تطوير السياحة. كل هذا دليل على موقع الاقتصاد في الفكر العدواني والتوسعي الصهيوني.

وقد تتبع محمود اللبدي الموضوع في كتابه: «العقل الإعلامي الصهيوني»، وعمل على فضح المشروع الصهيوني وتبيان مخاطره، ومما جاء في كتابه: «إن الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية ضالعة في نفوذها ومنتشرة في كافة مجالات الحياة العامة، وهي تشكل شريحة عامة من المثقفين (الأنتلجنسيا) حيث تشكل ١٧٪ من الأطباء والصيادلة، و٣٣٪ من المحامين، و٣٠٪ من أساتذة الجامعات، و٦٠٪ من علماء مؤسسة الفضاء الأمريكية (ناسا). وعلى المستوى الاقتصادي يشكل يهود

طبقة وسطى في غالبيتهم، فهم لا يمتلكون الصناعات الثقيلة، ولكن سيطرتهم تبرز في أخطر صناعة وهي صناعة تشكيل الرأي العام، وهي تشمل صناعة السينما في هوليوود، تلك الصناعة التي تمتد شباكها إلى التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، وخاصة دور النشر»[1].

وهذا الذي ذكرناه ما هو إلا تطبيق عملي لما ورد في البروتوكول الثامن: «إننا سنحيط حكومتنا بجيش من الاقتصاديين ولذا فإن علم الاقتصاد السياسي هو العلم الرئيسي الذي يهتم يهود بتعليمه. وسنكون محوطين بجماعات كثيرة من أصحاب المصارف والتجار والأغنياء، وخاصة أصحاب الملايين، لأن كل شيء سوف يحل بصورة جوهرية بالأرقام».

وورد في البروتوكول الثالث عشر: «ولكي نمنع الجماهير من أن تتخذ، مستقلة، أي قرار فإننا نلهيها بالألقاب ومشاهد الترفيه والأهواء ومراكز الثقافة الشعبية. وسنبدأ قريباً عن طريق الصحافة بعرض جوائز مسابقات في نطاق الفن والرياضة البدنية بكل أنواعها وهذه الملاهي سوق تصرف أذهان الجماهير بشكل نهائي عن القضايا التي تجبرنا على الدخول بنزاع معها.

ويبدأ اليهود في أسفارهم التي كتبوها بأيديهم على أنها من عند الله وما هي من عند الله فقد جاء سفر تثنيه الاشتراع: «لا تقرض أخاك بربا في فضة أو طعام أو شيء آخر مما يقرض بربا، بل الأجنبي إياه تقرض بالربا

---

(١) العقل الإعلامي الصهيوني - محمود اللبدي، دار الصمود العربي - قبرص.
نقلاً عن المال والإعلام في الفكر اليهودي، مرجع سابق.

وأخاك لا تقرضه بالربا لكي يبارك الرب إلهك صنيع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها »[1].

و لقد وصف الله تعالى اليهود بقوله ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴾ .

فتلك صفتهم من قديم ولازمتهم حتى الآن لدرجة أن كلمة يهودى كانت تعني في أوربا التاجر أو المشتغل بالربا[2].

وقد عمل اليهود ضد أي مبدأ أو قوة تقف في طريقهم فهم وراء الجمعيات التي تعمل على هدم الدين في القلوب والاستعاضه عنه بمبادئ الماسونية في حين حافظ اليهود على عقيدتهم.

يخلص من ذلك أن اليهود هم حالياً الأشخاص الأكثر ثراء والأكثر تأثيراً على الأرض، وأن النفوذ والقوة اللذين امتلكوهما يشكلان ظاهرة فريدة في التاريخ. وهذا العرق يسيطر اليوم على المال والصناعة من علياء رؤوس ماله الضخمة، التي تلقي ثقلها على الشعوب وتسحقها. وفي الوقت الراهن، فإن الاستثمارات الأكثر مردوداً والمؤسسات الأضخم ـ سواء في أوروبا أو خارجها ـ ليست سوى احتكارات يهودية، كما هو حال مؤسسة Sudbahn النمساوية (شبكة المواصلات الحديدية الرئيسية في أوروبا الوسطى)، مناجم البرازيل، شركة لويد «Lioyd» النمساوية، شركة عبر الأطلسي Transatlantique وغيرها.. وغيرها[3].

واليهودي جدّي لأنه يتحرك بحب عملي، وليس مثلنا بحب أفلاطوني من

(١) سفر تثنية الاشتراع - الاصحاح ٢٣. (٢) المال والإعلام في الفكر اليهودي.
(٣) المرجع السابق.

أجل القوة. اليهودي يمارس الفضيلة للمصلحة الخالصة، أي بسبب المكاسب المادية التي تؤمنها له. الجدية تطيل الحياة وتجعل المرء قادراً على كسب النقود، وهذا كاف لليهودي كي يحبها. ولكن إذا كان مبدأ الفائدة يدفعه من ناحية لأن يكون فاضلاً، فإن المبدأ نفسه يدفعه، من ناحية أخرى، لاعتناق نزعة الشر.

إن اليهودي الذي تمكن من تحقيق المكاسب التي توفرها الجدية حرص على الاستئثار بها وحده: «الجدية» يقول اليهودي، «أمر جميل جداً ينبغي أن أحتفظ به، ولكن لا ينبغي أن يكون عند الجميع وإلا سوف يستحيل علي تكوين ثروة».

إذاً، نظرياً وعملياً، تحول اليهودي إلى مفسد واستعمل نزعة الشر أداة وسلاح تدمير. وهكذا تحولت الفضيلة ونزعة الشر بيد اليهود وسائل قوية أتقنوا استخدامها كأسلحة دفاعية وهجومية. بالعمل الجدي يتجنبون الخسائر والمصائب، وبنزعة الشر ينقضون على أولئك الذين يودون تبديد ثرواتهم[1].

وتقريباً كل الأماكن المشبوهة والخمارات في جميع أنحاء العالم يديرها يهود.

والجشع هو شهوة تتطابق مع طبيعة اليهودي، وهو بالتالي يخضع لها غريزياً، كما أن غريزة الربح المتجذرة بقوة في تركيبته النفسية تلغي لديه كل شعور آخر. فاليهودي، على سبيل المثال، لا يعرف ما هو الإحساس بالكرامة: هو لا يقوم بأية حالة قدح، يستهزئ بالمدح، ولكن إذا تجرأت على

(١) المرجع السابق.

أن تأخذ منه قرشاً واحداً فإنه ينقض عليك كالنمر. هدفه الوحيد في الحياة هو الربح، وبالتالي فإن كل ما لا يقود مباشرة باتجاه هذا الهدف لا يستحق بنظر اليهودي الاهتمام.

هذا الجشع الجامح يضع اليهودي في عداء دائم مع باقي البشرية، التي يخوض في مواجهتها حرب إبادة. وهذا العداء يدفع اليهودي إلى الاعتقاد أن الناس وجدوا فقط ليخدع بعضهم البعض الآخر، وليتنازعوا في ما بينهم.

وخلال علاقاتهم مع القبائل المجاورة، استطاع اليهود ملاحظة الحقائق الاقتصادية التالية:

«ليس أولئك الذين يربحون هم من يصبحون أغنياء، وإنما هم من يدخرون».

«إن الذين يدخرون ينجحون في السيطرة على الناس المبذرين».

ولاحظوا أيضاً أن الناس عموماً يهتمون قليلاً بما يملكون، إذ أن الرغبة في الحصول على ما لا يملكون تنسيهم ما بين أيديهم.

من هذه الظواهر استخلص اليهود مبادئ أساسية (مبدأ المصلحة أو المنفعة الخاصة) أصبحت في ما بعد قاعدة لنظامهم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

ومع نمو الحركة المالية توسعت دائرة حركتهم بصورة ملائمة، وقانون الجاذبية الذي يجذب الجزئيات نحو المركز، يجذب أيضاً رؤوس المال الصغيرة نحو ضخامة الثروات اليهودية. وغدت هذه الجاذبية اليوم لا تقاوم، ووصل

اليهود إلى السيطرة على العامل المالي من أقصى العالم إلى أقصاه، وبلغت قوتهم حالياً درجة لا يمكن معها تقريباً لعملية مالية ذات شأن أن تتم بدون أن يشارك فيها اليهود، وبدون أن يجنوا منها الأرباح.

ثانياً: الاعلام

أدرك اليهود مدى تأثير الاعلام من صحافة وغيرها من الوسائل المسموعة والمرئية والاعلام في الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية الذي سيطر اليهود فيها على جميع وسائل الاعلام ولا توجد أي قناة من قنوات التأثير الاعلامي في الغرب إلا وخاضعة لسيطرة اليهود.

من خلال امتلاك عدد كبير من الصحف والمطبوعات، أو التسلل إلى مواقع نافذة في صحف ومطبوعات، وحالياً في وسائل مرئية ومسموعة من خلال الشاشة والأقنية الفضائية وسائر شبكات الاتصال.

يضاف إلى ذلك النفوذ في بعض شركات الإنتاج السينمائي كهوليوود في الولايات المتحدة الأمريكية، أو في دور نشر عديدة ليتحكموا بتسويق الكتب والموسوعات ونشرها[1].

وبالبحث القيم المسمى بعنوان «ما لا يعرفه مسيحيو الولايات المتحدة عن إسرائيل لغريس هيلي وهو عبارة عن محاضرة لها وهي أمريكية صديقة للعرب ومتحررة من نفوذ الاعلام اليهودي وقد أورد نص المحاضره الدكتور أسعد السحراني في كتابه المال والاعلام في الفكر اليهودي الصادر عن دار النفائس سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٠م الطبعة الأولى وقدم لهذه المحاضرة ومما أورده في هذه المقدمة قوله:

(١) المال والإعلام في الفكر اليهودي.

فقد بينت غريس هالسل كيف أن مدير دار نشر طرد من عمله لأنه وافق على نشر كتاب لها يتحدث عن العدوان على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وكيف أن الإذاعة امتنعت عن نشر مقابلاتها، وكيف أن صديقتها المسؤولة عن صحيفة «نيويورك تايز» بدلت موقفها منها بعد أن علمت بنشاطها لإظهار الوجه الحقيقي للمعاناة في القدس وفلسطين المحتلة. ولدى مراجعة هذا البحث سيقف القارئ الكريم على هذه الوقائع التي تعطي فكرة واضحة عن هذا الخطر اليهودي.

ولا بأس أن نقدم للقارئ الكريم مقتطفات من هذه المحاضرة:

عندما عدت إلى الولايات المتحدة، كان عملي صحافية تغطي أخبار البيت الأبيض، بعدها استخدمني الرئيس (جونسون) للعمل لديه كاتبة، وقد عملت في البيت الأبيض لمدة ثلاث سنوات وإنه لأمر عجيب أنني طوال هذا الوقت لم أكن أعرف الشرق الأوسط، أو أستطيع القول إن الذي اعتقدت أنني أعرفه لم يكن صحيحاً.

كنت نموذجاً للعديد من المسيحيين الأمريكيين. كانوا يرون أنفسهم مسيحيين بنوايا حسنة، ويشعرون بالارتباط مع إسرائيل والصهيونية، وشعورهم هذا يعود غالباً إلى ما رباهم عليه أهلهم، وفي بعض الحالات منذ الطفولة.

لقد كبرت وأنا أسمع قصصاً عن إسرائيل الصوفية والروحية والرمزية. هذا كان قبل الكيان السياسي الحديث وبالاسم نفسه الذي يظهر على خرائطنا.

كنت أحضر مدرسة الأحد وأراقب المعلم يرسم خيالات مثل الشبابيك ليعرض خرائط للأرض المقدسة.

بينما كنت في مجال البحث والكتابة «للرحلة إلى القدس»، قمت برحلة عودة إلى الولايات المتحدة، وحملت معي «دزينات» من المقابلات المسجلة مع الفلسطينيين.

واحد من كل أربعة شبان فلسطينيين قابلتهم قال لي بأنه تم اعتقاله، من دون تهم، سُجن، وتعرض للضرب بلا سبب.

هذا كان في أواخر السبعينات، ولم أقرأ عن هكذا قصص في الإعلام الأميركي. ألم تكن هذه القصص أخباراً؟ من الواضح، حسبت بسذاجة أن المحررين الأمريكيين لم يعرفوا بأن هذا كان يحدث.

لقد سلمت باليد رسالة إلى «فرانك فانكويتز» (في حينه) رئيس محطة الإذاعة الأمريكية (ويتا)، وشرحت له أنني سجلت المقابلات مع الفلسطينيين الذين تعرضوا للتعذيب بوحشية، وأود أن أقدمها له. لم أحصل على رد. قمت بعدة اتصالات هاتفية.

أخيراً، تم تحويلي إلى شخص في العلاقات العامة، السيدة (كوهين)، التي قالت بأن رسالتي ضاعت.

كتبت مرة ثانية. مع الوقت بدأت أدرك الذي كنت أجهله. لو كان اليهود هم الذين عُذبوا واضطهدوا، فإنها تكون أخباراً، ولكن المقابلات مع العرب المعذبين ضاعت في محطة الإذاعة الأمريكية.

عملية نشر كتابي «رحلة إلى القدس» كانت أيضاً تجربة تعلمت منها.

«بيل غريفن»، الذي وقع الاتفاق معي، بالنيابة عن شركة «ماكميلان» للنشر، كان كاهناً كاثوليكياً سابقاً. لقد أكد لي بأنه لا أحد غيره سينشر هذا الكتاب.

وبينما كنت أقوم بأبحاثي للكتاب من خلال السفر إلى دولة إسرائيل وفلسطين المحتلة، التقيت عدة مرات (بغريفن)، عارضة عليه بعض الفصول.

«عظيم»، قال عن بحثي.

وفي اليوم الذي كان محدداً لنشر كتابي، ذهبت لزيارة (ماكميلان)، وسألت عنه في مكتب الاستقبال، لمحت (غريفن) في الغرفة، يجمع أغراضه من المكتب.

سكرتيرته (مارجي) خرجت لاستقبالي. همست لي، والدموع في عينيها، أن ألتقيها في دورة مياه السيدات. وعندما أصبحنا لوحدنا، قالت: «لقد طُرد» ولمحت بأن السبب يعود لأنه وقع العقد لكتاب متعاطف مع الفلسطينيين و«غريفن» - كما قالت - ليس لديه الوقت لرؤيتي.

لاحقاً، اجتمعت بمسؤول في «ماكميلان»، «ويليام كوري»، قال: «لقد أُبلغت بأن آخذ المخطوطة إلى السفارة الإسرائيلية، ليقرأوها بحثاً عن الأخطاء»

لم يكونوا مسرورين. سألوني قائلين: «لن تنشري هذا الكتاب أليس كذلك؟»، وسألت: «أيوجد هناك أخطاء؟». «لا أخطاء. ولكن لا يجب نشره، إنه معادٍ لإسرائيل».

بالرغم من العراقيل لمنعه، بدأت الصحافة بالدوران. بعد نشره في ١٩٨٠، دعيت لأتحدث في عدد من الكنائس الأمريكية.

المسيحيون عامة تفاعلوا مع الأمر بعدم التصديق، حينذاك لم يكن هناك تغطية لمصادرة الأراضي بواسطة الإسرائيليين، تدمير بيوت الفلسطينيين، مذكرات التوقيف وتعذيب المدنيين الفلسطينيين.

بالتحدث عن هذا الظلم، سمعت نفس السؤال: «كيف لم أعرف هذا؟» أو ربما قد يقول شخص ما: «ولكنني لم أسمع عن ذلك في صحيفتي» لهؤلاء الحضور في الكنيسة تحدثت عن خبرتي في الإعلام الأمريكي. قلت لهم بأنني رأيت حشوداً من المراسلين الأمريكيين يغطون أخبار الدولة الإسرائيلية الصغيرة. لقد أشرت بأنني لم أر هكذا عدد من المراسلين في العواصم العالمية مثل (بيكين)، (موسكو)، (لندن)، (طوكيو)، (باريس). لماذا؟ سألت. دولة صغيرة يبلغ تعداد سكانها أربعة ملايين تجتذب مراسلين اكثر من الصين ذات المليار نسمة.

لقد ربطت هذا التساؤل بمعرفتي أن (نيويورك تايمز) وجريدة (وول ستريت) و(الواشنطن بوست)، ومعظم إعلام وطننا يمتلكه، أو يسيطر عليه، اليهود الداعمون لإسرائيل. لهذا السبب أرسلوا الكثير من المراسلين لتغطية أخبار إسرائيل وللتحدث بشكل موسع وكبير ـ من وجهة النظر الإسرائيلية ..

ليس فقط لا يعلم مسيحيو الولايات المتحدة الوجه الحقيقي لإسرائيل، ولكن لا يعرفون الوجه الحقيقي للطرف الآخر، وهذا يؤدي إلى مشكلتين: بينما يتجه الإعلام إلى التمجيد بإسرائيل، فإنه يتجه إلى إعطاء صورة مشوشة عن العرب، وللتشهير بالإسلام.

إذا كان هناك أي موضوع يمكنهم أن يتناولوه، مثل حقوق الإنسان، دور المرأة، الديكتاتوريين العرب، فإن الإعلام يتناول هذه المواضيع بأسلوب يخلق أفكاراً سلبية تجاه العرب. لنأخذ على سبيل المثال كلمتي الإرهابين والإرهاب. فعندما يتحدث الإعلام الأمريكي عن الإرهاب، فهو يتحدث عادة عن الفلسطينيين. إنه لا يذكر بأن إسرائيل شنت حرباً إرهابية ضد الفلسطينيين لمدة خمسين عاماً. صحافة الولايات المتحدة لم تذكر أي إرهابي يهودي أو إرهابي مسيحي (متدين).

مع ذلك فإن المسلم يُدعى بالإرهابي المسلم. جُمل مثل «الميليشيا المسلحة» و«الإرهاب الإسلامي» تظهر مراراً في الإعلام الأمريكي وكأن مؤلفي الكلمات مبرمجين لإصدار هذين التعبيرين.

هناك ناحية ثالثة: المعيار أو (الموقف ذو الوجهين) بما يختص بإسرائيل. الولايات المتحدة لديها معيار للعالم كله، ومعيار آخر لإسرائيل فقط.

مثال واحد نألفه كلنا: المعيار الثنائي الأمريكي في ما يتعلق بالعقوبات المفروضة على العراق لأنه رفض قرار مجلس الأمن الدولي، بينما إسرائيل ترفض، ومنذ ٥٠ عاماً، عدداً لا يحصى من قرارات الأمم المتحدة، لكن واشنطن تتغاضى عن هذا.

خذ مثلاً: الخدمة في جيش أجنبي. منذ عدة سنوات ذهب مكسيكي أمريكي إلى المكسيك وارتدى البذلة الرسمية، فقد جنسيته الأمريكية. الآن تسمح الولايات المتحدة لعشرات الآلاف من الأمريكيين للذهاب إلى إسرائيل، ويرتدون البذلات الإسرائيلية ويخدمون في الجيش الإسرائيلي.

كم تمتلك إسرائيل من الأسلحة النووية؟

مركز المعلومات الدفاعية في (واشنطن) يقدر بأن إسرائيل تمتلك أكثر من ١٠٠ رأس نووي، آخرون يقدرون بأنها تمتلك حوالي ٤٠٠ رأس حربي نووي.

نتذكر كلنا القصف على قاعدة «الأمم المتحدة» في (قانا) عام ١٩٩٦ عندما قتل الإسرائيليون أكثر من ١٠٠ مدني، احتموا هناك. صحافي إسرائيلي، (آريه شافيت) يشرح لماذا شعر الإسرائيليون بأنهم يستطيعون قتل المدنيين من دون عقاب: «نحن نؤمن وبكل ثقة بأنه في الوقت الحالي، وفيما البيت الأبيض في قبضتنا، والنواب في قبضتنا، ونيويورك تايمز في قبضتنا، فإن حياة الآخرين ليست مهمة كحياتنا».

الإسرائيليون اليوم، كما يشرح اليهودي (شاحاك) المعادي للصهيونية: «لا يؤسسون دينهم على أنه دين العدالة. لا يتقبلون الوصايا القديمة كما هي مكتوبة. في الواقع، إن اليهود المتدينين يتحولون إلى (التلمود) بالنسبة لهم، قوانين اليهودية التلمودية أصبحت «التوراة»، وتعاليم «التلمود» تسمح لليهودي بقتل غير اليهودي من دون عقاب.

إنهم يبررون ما يفعلون بقولهم إنها إرادة الرب.

أين نجد الجواب؟

في الولايات المتحدة: الذين يعرفون ماذا يجري في الشرق الأوسط هم أقلية. الآخرون لا يعرفون لأن الصهاينة اليهود والمسيحيين.. يوجهونهم سياسياً عبر الإعلام ووسائل أخرى ليروا الإسرائيليين على أنهم الأخيار والعرب عامة، والمسلمون خاصة، على أنهم الأشرار.

****

نابليون يخطب ود اليهود

لم يغفل نابليون وهو يقوم بغزو مصر أن يخطب ود اليهود سواء في فرنسا أو في مصر ففي فرنسا «عقد إتفاقاً سرياً مع زعماء اليهود قبل أن يقوم بغزو مصر وينص هذا الاتفاق الذي يعتبر من أقدم مؤتمرات الصهيونية العالمية ضد مصر وشعب فلسطين بأن يقوم بنك روتشيلد «باريس» بتمويل حملته العسكرية على مصر وأن يقوم صناع السفن اليهود في ميناء جنوه الايطالي ببناء قطع أسطوله البحري مقابل أن يزحف بونابرت على رأس قواته بعد أن يتم إحتلال مصر وإخضاع شعبها على فلسطين وغزوها وإعلان إنشاء وطن قومي لليهود فيها.

ووافق نابليون على أن يتنازل بعد أن يحقق حلم الصهيونية العالمية الكبير عن قطع اسطوله البحري إلى الدولة اليهودية لتحويله إلى أسطول تجاري يرفع علم الدولة اليهودية ويعمل لحسابها.

يقول المؤرخ اليهودي إيلي ليفي أبو عسل في كتابه «يقظة العالم اليهودي» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٤ ص٩٩ «أجمع علماء التاريخ من فرنسيين وإسرائيلين من عهد بعيد على التسليم بأن فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين كانت في طليعة المرامي والمشاريع الاجتماعية السامية التي كانت تجول في مخيلة نابليون الوقادة ويطمح في تحقيقها حيال المسألة الشرقية عندما شرع في تجهيز حملته لغزو مصر والشام»[١].

(١) راجع المؤامرات الصهيونية بالوثائق على مصر - جميل عارف. دار المكتب المصري الحديث.

ويقول في صفحة ١٠٤ من الكتاب بالحرف الواحد:

«إن مقاصد نابليون وفكرته على أعظم جانب من الصراحة والإخلاص، فقد كان يعتبر اليهود ولاسيما المقيمين منهم في آسيا وأفريقيا تابعين لأمة تعتقد بأنه إذا كان اليهود يعلمون بأن أمانيهم الوطنية السامية يجب تحقيقها وأنه إذا كان هناك أمل في تجديد كيانهم في بلادهم كأمة مستقلة.. فإن عليهم أن يستنفدوا آخر سهم في كنانتهم.. أي في جعبتهم لمساعدة نابليون على إحراز النصر ونوال الظفر.. وقد نقل إلينا التاريخ أن الحاخام يوسف مردخاي يوسف بنوحس كان من أشد أنصار مشروع بونابرت ومن أقوى المحبذين لغايته ومراميه»..

ثم استطرد المؤلف يقول في كتابه:

«من المحقق أن فكرة إقامة وطن لبني إسرائيل في فلسطين طفقت تزداد سعيرا في ذهن نابليون، وكانت شغلاً شاغلاً له وكان يلوح له أن هذا الحل ممكن جدا إذا نجح ولو قليلاً في تغيير مجرى الأمور في الشرق، ولم تكن حملته على مصر إلا وسيلة لبلوغ هذه الغاية، ولكن شاءت الأقدار ألا تتحقق آماله ذلك أن نابليون بعد فشله أمام قلعة عكا بالرغم من انتصاراته العظيمة اضطر إلى مغادرة القطر المصري بسرعة والعودة إلى فرنسا تاركاً قواته في مصر»..

ويقول:

«إن إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين كان أحد الأهداف التي كان نابليون بونابرت يعمل على تحقيقها عندما قام بعملية غزو مصر».

ومن الجدير بالذكر أن إيلي ليفي أبو عسل مؤلف الكتاب المذكور يشير إلى حقيقة مهمة وهو يتحدث عن عدد اليهود في فلسطين أثناء الحملة الفرنسية على فلسطين ومصر فيقول: «أن اليهود في مدينة عكا لم يكن يزيد في تلك الأيام عن ٣٦ عائلة فقط وأن عددهم في أورشليم أي في القدس لم يكن يزيد على ١٠٠٠ نسمة في حين كان عدد الأهالي الوطنيين أي العرب يقدر بحوالي عشرة آلاف نسمة».

وبعد دخول نابليون مصر أخذ يغازل اليهود ويداعب أحلامهم في إقامة دولة لهم بفلسطين فوجه هذا النداء إلى اليهود بصفة عامة واليهود الشرقيين بصفة خاصة يقول فيه بالحرف الواحد:

«من بونابرت القائد الأول لجيوش الجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى الورثة الشرعيين لأرض فلسطين..

أيها الإسرائيليون أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع شهوة الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

وعلى الرغم من أن المراقبين المحايدين من المهتمين بمصائر الشعوب لا يتحلون بمواهب الأنبياء أمثال أشعيا ويوئيل، إلا أنهم أدركوا منذ وقت طويل ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله أو إسرائيل التي تعني في اللغة العبرية أسير الله أو عبدالله.. سوف يعودون وهم يرددون الأناشيد إلى صهيون وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

وكما تقول نبوءة «أشعيا».. والذين ناداهم الرب يرجعون ويأتون إلى

صهيون بترنيم ويكون على رؤوسهم فرح أبدي ويتبعه السرور والفرح وينهزم عنهم الحسرة والتأوه.

ألا ثوروا على العار.. ياأيها المشردون في التيه وأعلنوها حربا مهولة يخوضها شعبكم.. حربا لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية.. حربا تقوم بها من اعتبرت أرضها ـ بجرة قلم من الحكام ـ غنيمة لأعدائها الذين عملوا بفظاظة على تقاسمها فيما بينهم وكما يشاؤون.. وإن فرنسا تنتقم لعارها ولعار أبعد الأمم التي تركت منسية وتركت طويلاً تحت أغلال العبودية، وتنتقم للعار الذي شل إرادتكم خلال ألفي سنة، ومع أن الوقت والظروف لم يكونا يسمحان للمناداة بمطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر للتخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز. إن الأمة التي لا تتاجر بالشرف كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم إلى كل الأمم تناديكم، ليس من أجل أن تقوموا بغزو ميراثكم.. كلا بالتأكيد، ولكن من أجل أن تتسلموا منها ما احتلته حتى الآن كي تبقوا أسياد البلاد ولكي تدافعوا عنها ضد كل الذين يريدون غزوها.

إن الجيش الصغير الذي بعثتني العناية الإلهية به إلى هنا جعل من القدس مقر قيادته الرئيسية. إن هذا الجيش الذي يمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه سوف ينتقل بعد أيام قليلة إلى دمشق المدينة المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها..

يا ورثة فلسطين الشرعيين..

إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم لتسلم إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

ألا هبوا.. وبرهنوا على أن القوة الساحقة لمضطهديكم لم تستطع بالتأكيد أن تصيب شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفا لإسبرطه وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة.

ألا هبوا فها قد سنحت الفرصة المناسبة التي قد لا تتكرر ثانية لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومعاناتكم بين شعوب العالم.. تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين.. ومن أجل المطالبة باستعادة كيانكم السياسي كأمة بين الأمم وبحقكم الطبيعي في عبادة إلهكم يهودا طبقا لعقيدتكم علنا، وعلى أن تفعلوا ذلك إلى الأبد»[1].

****

(١) المرجع السابق.

عكا تستعصي على نابليون

وتحت وطأة المقاومة الشديدة لأهالي عكا لم يتمكن نابليون من دخول فلسطين وبالتالي ذهبت أحلام اليهود سدى في إقامة دولة يهودية في فلسطين كما تحطمت أحلام نابليون على صخرة المقاومة الهائلة للشعب المصري.

مؤتمر بال ١٨٩٧

ثم تبلورت أحلام اليهود التي كانت تراودهم من آلاف السنين في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول الذي عقد في مدينة بال بسويسرا في شهر أغسطس ١٨٩٧ حيث وقف تيودور هيرتزل خطيباً في افتتاح المؤتمر قائلاً: «إننا هنا نضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سيؤوي الأمة اليهودية».

وكان هذا المؤتمر الخطوة التنفيذية الأولى نحو إغتصاب فلسطين وكان يتعين أن تقرع هذه الكلمات أذان العرب وتوقظهم من غفلتهم ولكن العرب كما قال الشاعر:

قد يوقظ الطبل النيام إذا غفو

فمن لك بالطبل الذي يوقظ الموتى

إن تخطيط اليهود كان في غاية الاحكام كل خطوة تتلوها خطوة أخرى نحو بلوغ أهدافهم وتحقيق أحلامهم فبعد استكمال تجميع صفوفهم وتنمية ثرواتهم وأصبحوا إذا تكلموا يسمع لهم عقد مؤتمر بال بسويسرا وأسمعوا العالم صوتهم حتى حصلوا على وعد بلفور وتلا ذلك مرحلة الشروع في اغتصاب فلسطين بتشكيل العصابات الأرهابية وتنظيم هجرتهم إلى فلسطين حتى تم لهم ما أرادوا بعد خمسين عاماً من مؤتمر بال بسويسرا.

السلطان عبدالحميد

يتصدى لأطماع اليهود في فلسطين

للإسلام رجال تظل بصماتهم تشع نوراً على التاريخ الإسلامي وتمر السنين إثر السنين وذكراهم حية بمواقفهم الفريدة وحينما تعتري الأمة سنوات عجاف تتذكر أيام الرخاء.

وحينما يندر الرجال الشوامخ يتذكر الناس القمم العوالي في تاريخ الأمة.

سيذكرني قومي إذا جد جدهم

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وفي عصرنا الكئيب الذي خلا من الرجال يتذكر الناس صلاح الدين وقطز ويهتفون باسمهم في كل مناسبة كأنهم أحياء شاهرين سيوفهم لتخليص القدس من اليهود وللذود عن الحمى المستباح والكرامة المهدرة.

ولا عجب حينما دخل أحد قادة الصليبية الحديثة المنتصرة أرض الشام وقف على قبر صلاح الدين الأيوبي ها قد عدنا يا صلاح الدين.

وفي عصرنا الحديث نبكي على الخلافة الإسلامية الغابرة والفردوس المفقود والله لقد كنا أعزة فحاق بنا الذل والهوان بعد القضاء على دولة الخلافة لقد كانت الخلافة المظلة التي تظللنا والراية التي تجمعنا والراعي الذي يحمينا من الذئاب لقد كانت الأمة الإسلامية التي تجمع الأجناس المختلفة حزمة تحزمها الخلافة وعقد تنظم حباته فلما قضى على الخلافة

تفرقت الحزمة وانفرط العقد وأصبحت الدولة الإسلامية الواحدة دولاً متعددة والأمة الإسلامية غدت شيعاً وأحزاباً مما سهل وساعد اليهود على إغتصاب فلسطين.

ولقد حاول اليهود أثناء قيام الخلافة أن يضعوا أقدامهم في فلسطين في عهد الخليفة المسلم حامي فلسطين وبيت المقدس فكان الرجل مخلصاً لدينه وللأمانة التي حملها الله إياها ولم يفرط في شبر واحد من فلسطين لليهود وكان يقف لهم بالمرصاد وكان عينا ساهرة تحمي القدس وفلسطين كان يعتبر كل شبر من أرض الأمة الإسلامية أمانة في عنقه والدفاع عنها فرض عين والتفريط فيها خيانة تستوجب عقاب الله فحينما حاول الدكتور هيرتزل أن يفاوضه على أرض فلسطين قال قولته الخالدة:

(إنصحوا الدكتور «هرتسل» بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين.. فهي ليست ملك يميني... بل ملك الأمة الإسلامية.. لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه.. فليحتفظ اليهود بملايينهم... وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن..

أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة).

السلطان عبدالحميد الثاني

أستانبول ١٩٠١م

وتكررت محاولات اليهود لدى السلطان عبدالحميد الثاني رحمه لله لتثبيت أقدامهم في فلسطين.

يروي الدكتور موفق بني المرجه في بحثه القيم «صحوة الرجل المريض» فيقول في الفصل الأول من الكتاب بعنوان حفاظ عبدالحميد على فلسطين والديار الإسلامية ص٢١٣ وما بعدها.

«وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار، مع أخيه فؤاد الولي ـ قبل وفاته ـ في ١١ أيلول (سبتمبر ١٩٦٧) الشيخ علي شيخ العرب، في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي إمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبدالحميد الثاني فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

ـ مزراحي قراصو مدير أحد البنوك.

ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفياً للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

---

(١) الشيخ طه الولي، عالم وبحاثه لبناني كان يعمل أمينًا لمكتبة العامة بوزارة الأوقاف في دولة الكويت.

- بناء أسطول لحماية الدولة.

- تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية، دون فائدة، لانعاش مالية الدولة واغناء مواردها.

مقابل:

- إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

- السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس، أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

- إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

- إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مرة سيدنا عمر رضى الله عنه ولست مستعداً أن أتحمل تاريخياً وصمة بيع الأراضي المقدسة لليهود وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

- ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبرهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها.

ويستمر الشيخ علي شيخ العرب في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا

متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة» وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فاطاحوا بعبدالحميد عام ١٩٠٨ ولم تكن «المشروطية» غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية» لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه. والمشروطية دعوة للعمل بالدستور وإباحة الحريات والارتجاعية دعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وهي ما يعرف بالرجعية ولا تناقض بين الدستور والشريعة الإسلامية.

يقول السلطان عبدالحميد في مذكراته:

«ولدت في أمريكا دولة فتية قوية وكانت إسبانيا قد أخرجت من مستعمراتها. وانتظم يهود العالم، وسعوا - عن طريق المحافل الماسونية - للعمل في سبيل الحصول على «الأرض الموعودة»! وجاؤوا إليَّ بعد فترة وطلبوا مني أرضاً لتوطين اليهود في فلسطين مقابل أموال طائلة وبالطبع رفضت».

ويقول الأستاذ عبدالحميد حرب في كتابه مذكرات السلطان عبدالحميد في تعليقه على هذه الفقرة في هامش ص١٤١، ١٤٢، ١٤٣:

«وردت في مذكرات هرتزل معلومات مفصلة في هذا الموضوع، نشير إلى ثلاث منها توضح موقف السلطان عبدالحميد من قضية فلسطين:

الأولى: قال السلطان (عبدالحميد): إنه لن يتخلى أبداً عن القدس، فإن جامع عمر يجب أن يبقى بيد المسلمين دائماً. (مذكرات هرتزل، ص٢٩).

والثانية: إن الناس هناك (في إنجلترا) ينتظرون سقوط تركية (يقصد الدولة العثمانية، فتركيا لم تكن ظهرت بعد) الذي هو وشيك في نظرهم، إن خلاص السلطان (عبدالحميد) لا يكون إلا باتفاقه مع «تركيا الفتاة»، وقال (نيولنسكي): إنه قدم تقريراً للسلطان يتضمن هذه النصيحة، فقلت له (أي هرتزل): إنه الآن يجب أن يزيد هذه الحقيقة على البرنامج الذي قدمه للسلطان، وهي أن يساعد السلطان اليهود بأن يعطيهم قطعة الأرض التي يريدون، وهم بدورهم يصلحون أمره في البلاد ويثبتون ماليته ويؤثرون على الرأي العام ليقف إلى جانبه، (مذكرات هرتزل، ص٣٢).

والثالثة: قال السلطان (عبدالحميد) لصديقي (نيولنسكي): «إذا كان صديقك فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه البلاد بإراقة دمه، وقد غذاها فيما بعد بدمائه أيضاً. وسوف نغذيها، بل لن نسمح لأحد باغتصابها منا. فليحتفظ اليهود بملايينهم، أما إذا سقطت الدولة (العثمانية) وتم تقسيمها فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل. إننا لن نقسم هذه الدولة (العثمانية) إلا على جثتنا، ولن أقبل تشريحنا لأي غرض كان» (مذكرات هرتزل، ص٣٥).

وفي موقف السلطان عبدالحميد من اليهود وموقف اليهود منه في مسألة فلسطين، يقول المؤرخ التركي جمال قوطاي:

(بعد المؤتمر الصهيوني الثالث في زيورخ عام ١٨٩٦م، اقترح اليهود

على السلطان عبدالحميد أن يبيع لهم «المزارع السلطانية» الواقعة على ساحل فلسطين أو تأجيرها لهم لمدة ٩٩ سنة مقابل «ذهباً يعادل ثلاث ميزانيات عثمانية».

ورفض السلطان العثماني (عبدالحميد) الاقتراحين، وكان المتحدث باسم الوفد الصهيوني المحامي اليهودي السلانيكي إيمانويل قراصو. وبعد الرفض السلطاني خرج الوفد فقال هذا المتحدث باسم الوفد اليهودي، لتحسين باشا كبير أمناء القصر السلطاني:

ـ سآتي هنا مرة أخرى.. لكن سيكون دوري في هذه المرة غير دوري الآن... وحدث بالفعل أن كان إيمانويل قراصو ضمن وفد «الاتحاد والترقي» الذي أبلغ السلطان عبالحميد بقرار خلعه).

انظر جمال قوطاي، المرجع السابق، ج١ ص١٤١.

أما طلعت باشا زعيم «الاتحاد والترقي» فيكتب في مذكراته عن موقف «الاتحاد والترقي» من اليهود، في صراحة تامة، ما يلي:

* كان «الاتحاد والترقي» أمل اليهود، هذا صحيح. ولقد بدأ اليهود في عهد توليتي وزارة الداخلية للمرة الأولى يتجمعون في فلسطين خاصة هؤلاء اليهود الذين أجبروا على الهجرة من روسيا. أخذ اليهود المهاجرون يشترون الأراضي في فلسطين بواسطة اليهود من التبعة العثمانية.

* جاء ٥٠٠٠٠ يهودي إلى أرض فلسطين خلال سنة واحدة من يناير ١٩٠٨م إلى مارس ١٩٠٩م.

* كتب علي أكرم بك المتصرف السابق والذي عين والياً على بيروت،

إلى وزارة الداخلية بخطورة إسكان اليهود. أما صبحي بك الذي حل محله فكان مؤيداً لإسكان اليهود ببعض الشروط، فالخزانة خاوية على عروشها وليس هناك في الدولة من دخل. واليهود القادمون معهم المال وأصحاب مؤسسات متكاملة ليس في المال فقط، بل وفي العلم والتجارة والزراعة والفنون وسيكونون مخلصين للدولة إذا منحوا فرصة العمل الحر. انظر: مذكرات طلعت باشا، ج٣ ص١٢٨٢.

وعن نية قادة «الاتحاد والترقي» - بعد خلعهم للسلطان عبدالحميد - في إقامة دولة يهودية في فلسطين، يقول طلعت باشا صاحب الكلمة العليا في جمعية «الاتحاد والترقي» وفي حكومتها أيضاً:

«سألني نافع باشا مندوب حلب في أول مجلس نيابي للمبعوثان عام ١٢٩٣م (١٨٧٦م) قائلاً:

- هل ترى أن من الممكن إقامة دولة يهودية (في فلسطين)؟

- فأجبته بقولي: ليس ممكناً فقط، بل إني أعتبر هذا أمراً مُقدراً».

طلعت باشا، مذكرات طلعت باشا، المصدر السابق ج٣ ص١٢٩٧.

وقد بعث السلطان عبدالحميد برسالة إلى شيخه محمود أبو الشامات (شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق) بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة «العربي» وجاء فيها:

(إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية «الاتحاد والترقي» المعروفة باسم (جون تورك) وتهديهم اضطررت واجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي:

إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً..

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني إنهم سيبعدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير..[1]

وانتهت الاتصالات برفض السلطان عبدالحميد الثاني إقامة مأوى لليهود في فلسطين، وبذلك أصبح عبدالحميد في نظر هرتزل سلطاناً (ماكراً جداً خبيثاً جداً ولا يثق بأحد).

كان السلطان عبدالحميد يرى ضرورة عدم توطين مهاجرين يهود في فلسطين حتى يبقى العنصر العربي المسلم محافظاً على تفوقه الطبيعي فيها. وكان من رأي عبدالحميد أنه إذا ما سمح لليهود بالتوطن في فلسطين فإنهم سيستطيعون في وقت قليل جداً أن يجمعوا في أيديهم وسائل القوة

(١) صحوة الرجل المريض.

في المكان الذي يستقرون فيه، وفي هذه الحالة (نكون قد وقعنا قراراً بالموت على إخواننا في الدين) ويقصد الفلسطينيين.

وقال هرتزل: أنه يفقد الأمل في تحقيق أمالي اليهود في فلسطين وأن اليهود لن يستطيعوا دخول (الأرض الموعودة) طالما أن السلطان عبدالحميد قائماً في الحكم مستمراً فيه.

أما عبدالحميد فيعبر عن رأيه في الحركة الصهيونية وفي هرتزل بقوله:

(لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين لهم، وإني أفهم جيداً معنى تصوراتهم الطامعة هذه، وإنهم لسذج إذا تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه... إن هرتزل يريد أرضاً لأخوانه في دينه لكن الذكاء ليس كافياً لحل كل شيء).

وعن القدس يقول السلطان: (لماذا نترك القدس؟.. إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية، لابد أن تظل القدس لنا)[1].

وهكذا وقف السلطان عبدالحميد ضد مطامع اليهود وكان حجرة عثرة وعقبة كؤود في طريق هجرة اليهود إلى فلسطين والتمكين لهم في شبر واحد منها ناهيك عن إقامة دولة لهم فذلك أمر دونه الموت وقد قدم السلطان التضحيات الجسام حيث عزله ـ أعضاء الاتحاد والترقي وكلهم من اليهود والماسون.

---

(١) مذكرات عبد الحميد - د. محمد حرب.

وكان اليهود الروس قد استعانوا بغير أمريكا لبذل مساعيه عند السلطان عبدالحميد بالسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين ولكن هذه المساعي باءت بالفشل لرفض السلطان عبدالحميد وكان ذلك سنة ١٨٨٢.

وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار (مارس) ١٨٨١م وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية ايواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[١].

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية (البيلوا) في عام ١٨٨٢م من إيصال ٢٠ مستعمراً يهودياً إلى فلسطين اعتبروا (رواد) الهجرة اليهودية وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعاً ولولا مساعدات البارون ادمون دي روتشيلد لماتوا جوعاً ومرضاً.

وقيل أيضاً أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

وفي عام ١٨٩٦م اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على أذن لمقابلة مع قيصر المانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا

---

(١) صحوة الرجل المريض.

المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزاً، وتستطيع أن تلعب دوراً في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

وعندما أرسل السلطان عبدالحميد الثاني مندوباً سرياً لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبدالحميد رفض العرض.

****

السلطان عبدالحميد يتصدى لأطماع
الدول الأوربية في بترول الدول العربية

يقول السلطان عبدالحميد في مذكراته التي قدم لها وترجمها الدكتور محمد حرب في كتابه القيم مارت ١٣٣٣:

الإنجليز يبحثون عن الآثار في العراق

ذكرت أنني أعطيت الألمان (امتياز) خط سكة حديد بغداد، وذلك لكي أجر الإنجليز إلى الاتفاق الذي أرضى عنه. ولهذا قصة أخرى طريفة أعرضها هنا.

لما قال الروس «لا» للاقتراح الإنجليزي الرامي إلى تقسيم دولتنا، بدأ الإنجليز يتقربون مني بشكل لم أستطع في البداية فهمه، استطعت معرفته بعد عدة أشهر. ذات يوم قابلني السفير الإنجليزي (في إستانبول)، وتحدث طويلاً عن أن الأناضول وسوريا والحجاز تعد مهد أعظم حضارات التاريخ، وسألني إن كنت فكرت في مشروع للتنقيب عن الآثار في هذه المناطق، فربما يمكن العثور على كنوز لو قامت مشاريع للتنقيب على هذه الآثار هناك، وقال إن التماثيل الصغيرة، والقُلل والأواني المكسورة العتيقة، والنقود القديمة، التي ستستخرج من تحت الأرض، لها قيمة الكنز. وإن النظر فيها ربما يكون من شأنه تغيير التاريخ، وسيمكن بواسطتها الحصول على معلومات (علمية) قيمة كثيرة. وبعد أن قال: إن قراءة الخط المصري القديم قدم للحضارة العالمية مكسباً عظيماً جداً، أضاف قائلاً: إن الدولة العثمانية

لو وجدت أن عمليات التنقيب عن الآثار في هذه المناطق تكلفها الكثير، فإن الحكومة الإنجليزية مستعدة لتقديم مختلف المعونات بكل سرور، وسترسل رجالها على وجه السرعة، وسيبدؤن في الحفر، وستصرف لهم الحكومة الإنجليزية مصاريفهم. وفوق هذا فإن ما يعثرون عليه من الآثار التاريخية هناك سيتركونه لنا دون مقابل.

ولما كان هدفي إقامة علاقات وطيدة مع إنجلترا، ولم أكن أعرف ما ينطوي عليه هذا الاقتراح: قبلت، واستدعيت الصدر الأعظم خليل رفعت باشا، على الفور، وشرحت له الاقتراحات الإنجليزية ونبهت عليه بمتابعة أعمال هذه الوفود القادمة.

والحقيقة أن الإنجليز أرسلوا مجموعة من علمائهم إلى إستانبول، دونما تأخير كثير. قابلتهم جميعاً في لقاء عام معهم. وتمنيت لهم النجاح، وأقمت لإكرامهم في ذلك المساء مأدبة عشاء دعوت إليها أيضاً سفراء الدول الأخرى، وكان يبدو على السفير الروسي بشكل خاص وبوضوح أنه غير ممتن من هذا التصريح. كان ينصت باهتمام وهو يبتسم بشكل واضح إلى حديثي عندما قلت له فيه: إن الإنجليز طلبوا السماح لهم بالتنقيب عن الآثار خدمة للتاريخ والحضارة.

وبدأ فريق من العلماء تنقيبهم في (منطقة) «قيصرية» (في الأناضول)، وفريق آخر في «الموصل»، وفريق ثالث في نقطة قريبة من بغداد. كانوا ينقبون بمساعدة العمال المحليين، وكنا أيضاً قادرين على متابعة أعمالهم، ولم يظهر شيء من هذه الحفريات غير بضعة أوان مكسوره وقلل وتماثيل

صغيرة وتوابيت ومقابر، وقام الإنجليز بتسليمنا هذه الأشياء، حتى النقود النحاسية القديمة.

كان السفير الإنجليزي يطلب كثيراً مقابلتي والتردد عليّ للإدلاء بمعلومات عن هذه الحفريات، وكنا نتحادث، وكنت أقدر جميع هذه الفرص، وكنت أمهد الأرض للاتفاق الذي فكرت في عمله. كنت أريد ألا أقدم أنا هذا الاقتراح. ولكني كنت أريد أن يقدمه الإنجليز بأنفسهم إلي، وبذلك يكون الاقتراح في ذلك الوقت اقتراحهم هم. وإذا وجدته مناسباً وافقت عليه، وإن لم أجده كذلك كنت سأرفضه. وهكذا كنت أحاول اقتطاف الأفضل.

****

ظهور البترول في العراق

حدث في هذه الأثناء شيء لم أستطع فهمه أيضاً. جاءني السفير الإنجليزي ذات يوم وهو متحمس. وقدم إلي سيفاً مرصعاً عُثر عليه في إحدى الحفريات بجانب الموصل. كان السيف مكسوراً، لكن يده كانت مرصعة بكثير من الأحجار الكريمة. وقال السفير: إن هذا السيف سقط على الأرض أثناء إحدى الزلازل، فذهب جزء منه في أعماق بعيدة، وعثر على الجزء المتبقي منه ضمن الحفريات، شكرت السفير وأنعمت عليه، ولكن لم تكن مخاباراتي على علم بسيفٍ كهذا. إذن فتفسير الأمر على شكلين: الأول: أن مخابراتنا تجهل هذا الخبر، والثاني: أن السفير ربما لعب عليَّ لعبة لا أعرفها. عرضت السيف على بعض التجار من السوق من هؤلاء الذين يفهمون في هذه المسائل، فقالوا: إن هذا السيف ليس قديماً، ولكن أدخلت عليه بعض التعديلات ليبدو كأنه قديم.

ازداد اهتمامي جداً بالأمر، لكني لم أفصح لأحد بشيء من هذا الاهتمام، ثم علمت من الأخبار التي ترد إليَّ أن بعثتي التنقيب عن الآثار في كل من الموصل وبغداد قد تركتا أعمالهما على وجه الأرض، وبدأتا تحفران آباراً.

في ذلك الوقت وضحت أهدافهم. كانوا يريدون مني أن أصدقهم، وهكذا كانوا يريدون أن يحصلوا على إمكانية العمل براحة أكثر، وهذا السيف الذي قُدِّم لي على أنه قديم ومزين بالأحجار الكريمة كان من أجل أن أزيد ثقتي بهم، ولم يكن ما يبحثون عنه أواني مكسورة أو تماثيل، وإنما كان البترول.

منعت الإنجليز من استخراج
بترول الحجاز وسوريا

كنت أعرف من قبل أنه من أجل العثور على البترول في الأفلاق (في رومانيا) يقوم المختصون بحفر الآبار، وعن طريقها يبحثون عنه.

بعد فترة جاءني السفير الإنجليزي بحجة أن يقول لي خبراً آخر. قال لي: إن قسماً كبيراً من أراضي سوريا والحجاز عبارة عن صحراء، والمعاناة شديدة في هذه الأماكن من العطش، لعدم وجود الماء، ولهذا السبب، فإنه يتعذر تعمير هذه المناطق، ولذا، فإن الحكومة الإنجليزية - إذا أصدرت موافقتي - مستعدة باسم الإنسانية أن تفتح آباراً هناك، ولكن لهذا شروط: إذا تم العثور على الماء، وتكونت واحات، فإنهم سيتركون استخدام الماء الذي سيخرج للأهالي، ولكنهم في هذه الحالة يصبحون أصحاب الماء.

إن مسألة الاتفاق ذاته لا يسير كما أريد.

رفضت الاقتراح، ولم أكتف بهذا، بل أغلقت رسمياً الآبار التي فتحوها بالموصل وبغداد. تأثر الإنجليز أبلغ التأثر بهذا، وغضبوا، وتركوا الآبار كما هي، ولكنهم بدأوا يأخذون على عاتقهم التحرش بمسألة الخلافة، متخذين من جمال الدين الأفغاني وسيلة لمآربهم. كما كانوا يريدون الوصول إلى غايتهم باحتواء أمير الحجاز.

في مقابل هذا قمت بإرسال قافلة كبيرة نوعاً ما من الدراويش إلى مسلمي الهند، وقابل الإنجليز هذا الموقف بإثارة نكبة كريت، وذهبوا لأكثر

من هذا، بأن حاولوا إقناع روسيا وفرنسا بإسقاطي من على العرش، ورفض الروس بلهجة حادة هذا الاقتراح الإنجليزي، لأن إنجلترا كانت ترتب في روسيا حركات تمرد لإجبار القيصر على قبول الحكم الدستوري، كما فعلت تماماً مع الدول العثمانية.

وفي الوقت الذي وقعنا فيه مع إنجلترا في الصراع، بدأت ألمانيا في مد يد الصداقة إلينا، وأيدتنا صراحة في قضية كريت، واختلفت في ذلك مع الدول الكبرى الأخرى.

إن انتصار جيشنا في اليونان قد نبه الألمان وفتح أعينهم، فاقترب مني القيصر (الألماني ويلهلم) لدفع التحالف الفرنسي الإنجليزي الروسي. أما أنا، فلكي أهدد الإنجليز بأني أستطيع فتح طريق الهند للجيوش الألمانية: اقتربت بسرعة من الألمان، وإن كانت أفكارنا في الأصل مختلفة عن بعضها البعض تماماً.

في أثناء هذه الزوبعة وصل القيصر «ويلهلم» إلى إستانبول، فأعددت له استقبالاً فخماً، وألقى القيصر بدوره خطباً رنانة أشاد فيها بكرم ضيافتنا، ولم يتحرج من القول بأنه صديق ثلاثمائة مليون مسلم يعيشون في أرجاء العالم المتفرقة، وبعث من دمشق بخطاب إلى قيصر الروسيا قال له فيه: (إن الدولة العثمانية ليست على وشك الموت، وإنما هي دولة تتلئ حيوية)، كما لم يتحرج القيصر الألماني أيضاً من تهديد قيصر روسيا بقوله: (ابتعد عن مس شرف المسلمين وخليفتهم).

****

الألمان يطمعون في بترول المنطقة العربية

ليس هذا أصل ما أريد شرحه، وإنما هذا التصرف وهذا السلوك من جانب القيصر جعلاني أشعر بأحاسيس طيبة كثيرة، وتصرفت معه تصرف الأصدقاء إلى آخر مدى.

جاء مع الإمبراطور الألماني إلى بلادنا بعض العلماء الألمان، من بينهم من كان يشتغل بالحفريات ـ تماماً مثل الإنجليز ـ وكانوا يريدون البحث عن الآثار القديمة حول الموصل. سمحت لهم، وحيث إني سمعت أنهم شموا رائحة البترول الذي كانت تنقب عنه البعثات الإنجليزية فإني أرسلت أحد مرافقي باسم مستعار ونبهت عليه بمتابعة الأمر من مكان الحفائر. مضى على هذا وقت قصير جداً ـ وكان الإمبراطور ما يزال ضيفاً ببلادنا ـ وإذا بي أتلقى تقريراً من صلاح الدين أفندي يقول: إن البعثة الألمانية تفعل ما فعله الإنجليز تماماً، تنقب وتفتح الآبار.

أعترف بأني ابتأست لهذا الخداع إذ لو كان الإمبراطور الألماني قد جاء لاقتراح البحث عن البترول لأعطيته الموافقة على أساس من بعض الشروط، إذ إن هذا البحث يهم بلادي أيضاً. أما أن يكون الأمر إرسال جواسيس يبحثون عن البترول بحجة البحث عن الآثار القديمة فإنه يُفصح بوضوح عن نظرة الألمان للعثمانيين.

****

الماسونية تعمل على خلع
السلطان عبدالحميد

كان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين قاموا بعزل السلطان عبدالحميد معظمهم من اليهود والماسون الذين تصدى لهم عبدالحميد وأفشل محاولاتهم في هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولتهم فيها. في ذلك الوقت كان نفوذ اليهود قد ازداد في تركيا عن طريق جمعية تركيا الفتاة.

يقول السلطان عبدالحميد في مذكراته:

أعدائي من «تركيا الفتاة» كلهم
من أعضاء المحفل الماسوني الإنجليزي

«لم أستطع أن أفهم كيف سادت رغبة إسقاطي من فوق عرشي وتنصيب أخي مراد مرة أخرى. هل لأن أخي السلطان مراد كان مثلهم ماسونياً؟ أم لأن التفكير أفضى به إلى أنه من السهل عليه أن يضغط على أخي مراد ويجعله آلة ينفذ كل شيء؟

حتى الآن لا أستطيع تقدير هذا.

لابد للتاريخ يوماً أن يُفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم «الأتراك الشبان» أو «تركيا الفتاة» وعن ماسونيتهم. استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من الماسون وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل. ولابد للتاريخ أن يُفصح عن هذه المعونات وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية؟».

ويقول الدكتور محمد حرب في كتابه القيم عن مذكرات السلطان عبدالحميد في الهامش ص١١٦:

«كان كل أعضاء فروع «الاتحاد والترقي» في كل من: القاهرة وجنيف وباريس، من الماسونيين. لكن الاهتمام الرئيس العالمي الذي أولته الماسونية الدولية، انصب على كادر الماسونين في مقدونيا. ذلك لأن حركة «الاتحاد والترقي» في سلانيك وهي مركزها، كانت الحركة العسكرية لهذه الجمعية. وكان كل ضباط الجيش هناك، باستثناء اثنين فقط، ماسوناً. والأربعة الكبار

في «الاتحاد والترقي» في منطقة مقدونيا ماسون وهم: محمد طلعت بك (باشا)، ومانياسي زاده رفيق بك، ومدحت شكري بلدا، وإسماعيل جانبولاط.

وكان الجميع في أول مركز عمومي للاتحاد والترقي - باستثناء واحد فقط - من الماسونيين. وفي المؤتمر الأول لحزب الاتحاد والترقي - ١٥٦ عضواً - كانت أهم شخصياته من الماسونيين وهم ٧٣ شخصاً.

وفي اجتماع مجلس الشورى الأعلى للماسونيين في الدولة العثمانية والذي عقد في ٣ يونيو ١٩٠٩م في فندق طوقاطليان في حي بك أوغلو في إستانبوا حضر أعضاؤه وهم ١٢ ماسونياً كل منهم يحمل درجة ٣٣ في الماسونية وهم:

- مدحت طلعت ساعي.
- محمد غالب.
- مدحت شكري بلدا.
- ميشيل نورا دوق جيان.
- محمد جاويد.
- دافيد جي كوهين.
- الدكتور رضا توفيق.
- عثمان عادل.
- محمد عارف.
- فؤاد خلوصي.
- نسيم مازلياح.
- عاصم كبار.

أما الآتية أسماؤهم فقد كانوا يحملون درجة أستاذ أعظم في الماسونية في عهد الاتحاد والترقي، وهم:

- طلعت باشا.
- فائق سليمان باشا.
- الأمير الاي الدكتور محمد علي باشا.
- جاويد بك وزير المالية.

وأفاد أعضاء جمعية «الاتحاد والترقي» التي أسقطت عبدالحميد من انتسابهم للماسونية من حمايتها لهم، فقد ضمت الجمعيات الماسونية عدداً كبيراً من الأجانب وهؤلاء كانوا يتمتعون بامتيازات من الحكومة تجعلهم قادرين على حماية أعضاء الجمعية ومساعدتهم في نقل مطبوعاتهم ومنشوراتهم من مكان إلى مكان وإخفائها وفتح منازلهم لاجتماعات أعضاء «الاتحاد والترقي».

وإن الجمعية الإسرائيلية بمصر أكدت أن من أهم واجباتها إدخال المطبوعات التي تهاجم السلطان عبدالحميد إلى داخل حدود الدولة العثمانية بأي شكل من الأشكال وهي المطبوعات التي كان يحررها أعضاء «تركيا الفتاة»[1].

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد - د. محمد حرب ص٣٠.

مؤامرة خلع السلطان عبدالحميد

دبر اليهود مؤامرة دنيئة لعزل عبدالحميد عن طريق أيوب صبري أحد أعضاء حزب الاتحاد والترقي وقد أعطاه اليهودي (قره صوه) مبلغ «٤٠٠.٠٠٠» أربعمائة ألف ليرة ذهب لصرفها على أحداث ٣١ مارس التي ألصقوها بالسلطان عبدالحميد مما أدى إلى عزله وهي عبارة عن تمرد ضد مجلس المبعوثات دبرها اليهود والماسون وألصقوها بالسلطان عبدالحميد مما أدى إلى عزله ونفيه. وقال قره صوه: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة انكليزية ما لم ينفذه عبدالحميد بخمسة ملايين» بمعنى أنه رفض إعطائنا فلسطين نظير خمسة ملايين وبعزله الذي دفعنا من أجله أربعة آلاف ليرة انكليزية سنأخذ فلسطين.

وإمعاناً في إزلاله لوقوفه ضد اليهود ومحاولاتهم إيجاد وطن لهم في فلسطين أن الذين قاموا بإبلاغه بقرار العزل كان من بينهم (قره صوه) الذي ذهب مع الوفد لمقابلة عبدالحميد بشأن السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها فطردهم السلطان عبدالحميد وتمادياً في إزلاله نفوه في قصر يملكه أحد اليهود يدعى آلاتيني في سلانيك وعومل أسوأ معاملة هو وأسرته وشرعوا في قتله وحاول الضباط المكلفون بحراسة القصر التعرض لابنته الأميرة شادية وصادروا أمواله ونهبوا قصره وتعرض هو وأسرته للجوع بمنع الطعام عنهم وهكذا يتعرض ملايين المسلمين للمهانة والأزلال في شخص خليفة المسلمين.

يقول الدكتور محمد حرب في كتابه مذكرات السلطان عبدالحميد هامش ص٢٠٣:

«عن هذه اللجنة التي أوكلها المجلس بتبليغ السلطان عبدالحميد بقرار التنازل عن العرش، يقول فتحي أوقيار، في مذكراته: «كنا ننتظر الوفد البرلماني المكلف بتبليغ السلطان بقرار الخلع، وبعد قليل وصل الوفد المذكور مكوناً من أربعة أشخاص، وبجانبهم كل من حسني باشا قائد الجيش الثاني والأمير الاي غالب بك... وقالوا: إنهم يريدون مقابلة السلطان، كان الوفد المذكور مكوناً من كل من:

- آرام أفندي الأرمني عضو مجلس الأعيان.

- عارف حكمت باشا اللازي عضو مجلس الأعيان وفريق بالقوات البحرية العثمانية.

- أسعد باشا الألباني نائب مدينة دراج بمجلس «المبعوثات».

- إيمانويل قراصو اليهودي نائب سلانيك بمجلس «المبعوثات».

ومن هذا الوفد يبرز أسعد باشا الألباني (الطوبطاني) وهو كما أعلم قد تدرج في قوات الجاندارما حتى أصبح ياورا للسلطان، وأدين أثناء حرب البلقان باغتيال حسن رضا باشا القائد الذي دافع عن مدينة أشقودرة. وكان أسعد باشا هذا قد تعاون مع الإيطاليين - أعداء الدولة العثمانية - ليتولى رياسة بلاد ألبانيا. وقد اغتاله أحد الشبان الألبان في باريس.

أما عارف حكمت باشا، فقد كان من مرافقي السلطان عبدالحميد، ومن الذين نالوا الكثير من أفضاله. ومن شخصيات هذا الوفد أيضاً: إيمانويل

قراصو، وقد علمت فيما بعد أنه كان ضمن الوفد الصهيوني الذي أراد عام ١٨٩٨م شراء المزارع السلطانية الموجودة في سنجق القدس، لإقامة وطن يهودي في فلسطين، ولما رفض السلطان هذا الاقتراح طلب هذا الوفد الصهيوني تأجير المكان لمدة ٩٩ سنة... والحقيقة أنني لا أدري من اختار هذا الوفد بالذات لإبلاغ هذا القرار (قرار الخلع) إلى السلطان....».

يلاحظ أن فتحي أوقيار هو حارس السلطان عبدالحميد في المنفى، ثم أصبح زميلاً لأتاتورك.

ويعلق الدكتور رضا نور وهو من أعداء السلطان عبدالحميد وكان وزيراً هاماً في أول حكومة كمالية، على دور اليهود والاتحاديين في إسقاط السلطان عبدالحميد بقوله: (لقد أسقطوا السلطان التركي وهو رئيس سلطنة عظيمة، على يد يهودي حقير جداً، ومعه ألباني رذيل قاتل هو أسعد باشا، ثم أرسلوا السلطان منفياً إلى سلانيك ليجلسوه في منزل تاجر يهودي غني يدعى ألاتيني»[١].

أما عن المندوب اليهودي في لجنة خلع السلطان عبدالحميد، فيقول شيخ الإسلام مصطفى صبري: «قراصو اليهودي نائب سلانيك.. والذي سبق له الحصول - قبل إعلان الدستور في تركيا - على مقابلة السلطان مندوباً من اليهود الصهيونيين فاتجه فيها رجاؤهم التعلق بمسألة الهجرة إلى فلسطين مع تقديم هدية موعودة قدرها خمسون مليوناً من الجنيهات الذهب لخزينة الدولة، وخمسة ملايين منها لخزينة السلطان الخاصة على تقدير قبول

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد رقم ٥٣٤، ١٩٨١/٩/٣.

المسؤول، فلقي رجاؤه رداً عنيفاً من السلطان مقروناً بإخراجه من حضوره في سخط واحتقار»[1].

ومصطفى صبري كان أحد شيوخ الإسلام أصحاب الشخصية القوية في أواخر عهد الدولة العثمانية، وهاجر من بلاده إثر اعتلاء مصطفى كمال (أتاتورك) ورفاقه منصة السيطرة على تركيا».

يبدو أن الاتحاديين وأعوانهم مهدوا لخلع السلطان عبدالحميد قبل إبلاغه بقرار الخلع.

محاولة الاعتداء على كريمة السلطان عبد الحميد

لم يقتصر دور حرس السلطان عبدالحميد - في المنفى - على محاولة اغتياله فحسب، بل وصل الأمر إلى محاولة ضباط هذا الحرس الاعتداء على عفة الأميرة شادية بنت السلطان. وهذا ما دونته الأميرة في مذكراتها عن هذا الحادث:

(ليلة عيد الأضحى.. دعا ضباط الحرس، أحد آغوات الحريم، الموجودين معنا. وعن طريقه أرسلوا إليَّ هذا الخبر: «وضعنا - نحن ضباط الحرس - في هذه الليلة غازاً تحت غرفة الأميرة شادية - وهي كبرى أخواتها - كما أن المدمرة «مسعودية» التي تقف في البحر ستصب نيرانها الليلة على القصر لتدمره. وسيحرق أبوها والقصر كله. وإننا - نحن ضباط الحرس - نرثي للأميرة فهي شابة، وفي ريعان الشباب، فلتأت الأميرة إلينا في منتصف الليل مع أخواتها. ونحن - كضباط - سنحميهم»... فهمنا كم كان

(١) موقف العقل والعلم من رب العالمين - مصطفى صبري وعباءة المرسلين.

هذا خطة قذرة من هؤلاء الضباط. أما آغا الحريم فقد ظن أن هذا الأمر حقيقة، وكان يشعر بحزن عميق تجاه الكارثة التي يمكن أن يُصاب بها والدي.

أخطرت هذا الآغا بأن يذهب إلى هؤلاء الضباط ويبلغهم جوابي التالي: «إن ما يمكن أن يتعرض له والدنا جلالة السلطان من قدر، فنحن فيه شركاؤه. وإني واحدة من الذين يقدرون جيداً نوعية الذين نحن في قبضتهم في هذا السجن. خاصة وأني فتاة لم أعرف الخوف أبداً في حياتي. وليس هناك إمكان قط لقبول اقتراحهم هذا، اذهب إليهم وأخبرهم بما قلته».

إلغاء الخلافة

وفي يوم ١٩٠٩/٤/٢٧ تم خلع السلطان عبدالحميد الثاني وتولية محمد رشاد الخلافة إلى أن كان اليوم الحزين يوم الثالث من مارس ١٩٢٤ حيث ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة وأخذ في اجراءات تغريب تركيا بأن ألغى المحاكم الشرعية ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية وألغى المعاهد الدينية وأصبح هذا الكيان الإسلامي الكبير الذي كان يخيف أوربا أثراً بعد عين وفقد المسلمون الكيان الدولي الذي كان يمثلهم في العالم عسكرياً وسياسياً.

فهل في وجود الخلافة كانت تتجرأ أي دولة أن تفعل بالمسلمين مثل ما يحدث الآن في البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان والعراق هل كانت تلك الدول تستطيع أن تجرؤ على السيطرة على مقدرات أي دولة من دول الخلافة الإسلامية.

شوقي يرثي الخلافة

ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي الشاعر المسلم صاحب العاطفة الإسلامية المتوجعة حينما رثى الخلافة الإسلامية نيابة عن المسلمين جميعاً وكأني بكل مسلم يردد مع شوقي:

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكي عليك بمدمع سجاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح؟
وأتت لك الجمع الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح
يا للرجال لحرة مؤودة
قتلت بغير جريرة وجناح
إن الذين أست جراحك حربهم
قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم
موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة
ونضوا عن الأعطاف خير وشاح

حـــسب أتى طول الليـــالي دونه

قـد طاح بين عـشـيـة وصـبـاح

وعـلاقـة فـصـمت عـرى أسـبـابها

كـــانت أبر عـــلاتق الأرواح

جـمـعت على البـر الحـضـور وربما

جـمـعت عليـه سـرائر النزاح

نظمت صفوف المسلمين وخطوهم في كل

غـــدوة جـــمـــعـــة ورواح

بكت الصـلاة، وتلك فـتـنة عـابث

بالشـرع عـربـد القـضـاء وقـاح

أفـتى خـزعـبلة وقـال ضـلالة

وأتى بكفـــر في البـــلاد بواح

ثم قال يصف مصطفى كمال:

أدوا إلى الغـازي النصـيحـة يتـصح

إن الجـواد يشـوب بعـد جـمـاح

إن الغـرور سـقى الرئيس براحـه

كـيف احـتـيـالك في صـريع الراح؟

نقل الشـرائع والعـقـائد والقـرى

والناس نقل كـتـائب في السـاح

تركـــتـــه كـــالشـــبح المؤله أمـــة
لم تسل بعـــد عـــبـــادة الأشـــبـــاح
هم أطلقـوا يده كـقـيـصـر فـيـهـمـو
حـــتى تناول كل غـــيـــر مـــبـــاح
غـــرته طاعـــات الجـــمـــوع ودولة
وجـــد الســـواد لهـــا هوى المرتاح
وإذا أخـــذت المجـــد من أمـــيـــة
لم تعط غـــيـــر ســـرابه اللمـــاح

ثم قال:

لا تبـــذلوا برد النبي لعـــاجـــز
عُـــــــزُل يـدافـع دونـه بـالـراح
بالأمـس أوهى المسلمين جـــراحـــةً
والـيـــوم مـــد لهم يد الجـــراح
فلتـــســـمـــعن بكل أرض داعـــيـــاً
يدعـــو إلى «الكذاب» أو لســـجـــاح
ولتـــشـــهـــدن بكل أرض فـــتنة
فـــيـــهـــا يبـــاع الدين بيع ســـمـــاح
يفـــتى على ذهب المعـــز وســـيـــفـــه
وهوى النفـــوس وحـــقـــدها الملحـــاح

الطريق إلى فلسطين

إن الطريق إلى فلسطين المغتصبة طويل طويل ودونه أشواك ودماء تراق وأنفس تسقط في ساحة الوغى وهي تهتف وعجلت إليك ربي لترضى ويسبق ذلك إعداد محكم طويل المدى إن مؤتمر بال الذي وضع حجر الأساسي لدولة إسرائيل عقد في ١٨٩٧ وأعلن قيامها في ١٩٤٨.

فبين أول خطوة للتنفيذ وبين التنفيذ أكثر من خمسين عاماً كلها إعداد جيد حشد للقوى السياسية والأعداد للحرب والتدريب على القتال وإستقطاب القوى المعادية للإسلام والمسلمين واستمالتها إلى جانبهم وقبل ذلك كله سيطرة اليهود على العالم الغربي مالياً وإعلامياً وقد استغرق ذلك عشرات السنين بل مئات السنين وما كان إعلان اليهود لقيام دولتهم سوى الثمرة التي أقتطفوها في نهاية المطاف.

وإن كانت الدول الأوربية ساندتهم سياسياً وعسكرياً فهذا يدل على مقدرة اليهود وهم أفراد مشتتين في العالم كله أن يجمعوا أنفسهم ويتحولوا إلى قوة اقتصادية وإعلامية أجبرت الدول الأوربية أن تقف بجانبهم سياسياً وعسكرياً. وهذا إن دل على شيء إنما يدل قوة اختراقهم للدول الأوربية التي تحركها مشاعر العداء والكراهية للإسلام والمسلمين في وقت يرفض فيه زعماء العرب والمسلمين بعث الروح الإسلامية ورفع راية الجهاد لمواجهة إسرائيل.

هذه مقدمة أسوقها بين الحديث عن السبيل إلى تحرير فلسطين والمقدسات الإسلامية الذي لن يكون إلا بالآتي:

أولاً: أن يتفق زعماء العرب على أنه لا سبيل لتحرير فلسطين إلا تحت راية الإسلام ويترتب على ذلك أن يتم إعداد الجيش إعداداً تكون فيه العقيدة القتالية هي الإسلام وبذلك يتضح الهدف ويكون شعار كل مقاتل الله والجنة.

والعقيدة القتالية الإسلامية التي تجعل كل تحركات المسلم للقتال في سبيل الله عبادة وعمل صالح عطشه وجوعه وكل تحركاته.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (التوبة: ١٢٠).

ومؤدى ذلك أن العملية القتالية وما يلزمها وتوابعها عمل صالح يجزي به الله أحسن الجزاء.

ثانياً: غرس عقيدة الجهاد في نفوس المسلمين وتهيئة الأمة أخلاقياً والاتجاه بها نحو الله وتنقية المجتمع من عوامل الفساد والانحلال الخلقي الذي يعوق طرق النصر ويؤخره عنا ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

ثالثاً: تقوية الروابط بين العرب وبين العالم الإسلامي حتى يشعر كل فرد من أفراد العالم الإسلامي المترامي الاطراف أنه لا فرق بينه وبين المسلم العربي وفلسطين قضية المسلمين جميعاً.

رابعاً: استغلال الموقع الفريد للعالم العربي والإسلامي وما تحويه أرضه

من خيرات ومعادن وعلى رأسها البترول في حركة تصنيع عسكري والاستغناء عن أعدائنا وقطع مواردنا عنهم وإستغلال تلك الموارد بأنفسنا.

قد يطول هذا الاعداد قد يستغرق عشرات السنين المهم أن نبدأ بداية جادة ونحرر أنفسنا من هوى أنفسنا وحينئذ وحينئذ فقط نستطيع أن نواجه إسرائيل وننتزع فلسطين والقدس من أيدي اليهود.

****

ونختم البحث
بباقة عطرة من آيات الجهاد
وأحاديث الرسول ﷺ
كما وردت من رسالة الجهاد
للإمام الشهيد حسن البنا

بعض آيات الجهاد في كتاب الله

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

١ ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ (سورة البقرة: ٢١٦).

ومعنى كتب: فرض. كما قال تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب.

٢ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾ (آل عمران: ١٥٦ ـ ١٥٨).

ومعنى ضربوا في الأرض: خرجوا فيها مجاهدين، وغزى: غزاة محاربين.

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى، وإلى خلو الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين، فانظر كيف انعكست الآية.

٣ ـ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٥) فارجع إلى تمامها في المصحف.

٤ ـ ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ (سورة النساء: ٧١ ـ ٧٨). فارجع إليها في المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر، وممارسة القتال في جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين، وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين، وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلهما من أركان الإسلام، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جريء، مبيناً لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية.

٥ ـ سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه، وبيان لكثير من أحكامه. ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيداً حربياً يتلونه إذا اشتد الكرب وحمي الوطيس. وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾.

٦ ـ سورة التوبة وكلها كذلك حث على القتال وبيان لأحكامه، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى في قتال المشركين الناكثين: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليهم حكيم﴾.

وقوله تبارك وتعالى في قتال أهل الكتاب:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ التوبة. ثم إعلان النفير العام في آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال، وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين في قوله تعالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)﴾ الآيات.

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم ﷺ وبيان أن هذه هي مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين في قوله تعالى: ﴿لكن

الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾.

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر في قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾.

٧ ـ سورة القتال، وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى «سورة القتال» في كتاب الله الحكيم، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام. وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه، فأما الطاعة ففي هذه السورة في قوله تعالى:

﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة، فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾. وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

٨ ـ سورة الفتح، وهي أيضاً كلها في في غزوة من غزوات رسول الله ﷺ، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز، تحت ظل الشجرة المباركة، حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح فذلك

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

هذه يا أخي بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد، وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب، تر العجب العجيب، وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب.

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك:

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل اله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» رواه البخاري ومسلم.

السرية: القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام.

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم من يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك».

الكلم: الجرح. ويكلم: يجرح.

٣ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به

المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..﴾ إلى آخر الآية، رواه البخاري.

من دون أحد: أي من جهة جبل أحد.

٤ ـ وعن أم حارثة بنت سراقة، أنها أتت النبي ﷺ فقالت: «يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ـ وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غرب ـ فإن كان في الجنة صبرت وإن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» أخرجه البخاري.

السهم الغَرب: الذي لا يُعرف راميه.

اجتهدت عليه في البكاء: بكيت بكاء شديداً.

فانظر يا أخي كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره.

٥ ـ وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إعلموا أن الجنةَ تحت ظلال السيوف» أخرجه الشيخان وأبو داود.

٦ ـ وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهَّزَ غازياً في سبيل الله تعالى فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

أي: له أجره.

٧ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من

احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريّه وروثه في ميزانه يوم القيامة» رواه البخاري.

ومثل الفرس كل عدة في سبيل الله.

٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: لا تستطيعونه. ثم قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يَفْتُرُ من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد» الستة إلا أبو داود.

٩ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخْبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوي بشيء منه» رواه النسائي.

لا يرعوي: أي لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر.

١٠ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى» الترمذي.

١١ ـ وعن أبي عميرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أُقتل في سبيل الله أحب إليَّ من أن يكون لي أهل المدَر والوَبَر» أخرجه النسائي.

أهل المدر والوبر: أي أهل الحواضر والبوادي.

١٢ ـ وعن راشد بن سعد رضي الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: «كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة» أخرجه النسائي.

وهذه من امتيازات الشهيد في الموقعة، وكم له من امتيازات كهذه ستأتي بعد.

١٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما يجد الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة» الترمذي والنسائي والدارمي، وقال الترمذي حسن غريب.

وهذا امتياز آخر للشهيد.

١٤ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه، فيقول الله للملائكة: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيماعندي وشفقاً مما عندي حتى أريق دمه، أُشهدكم أني قد غفرت له».

شفقاً خوفاً. وأريق دمه: سال دمه.

١٥ ـ وعن عبدالخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ يُقال لها أم خلاَّد وهي متنقبة تسأل عن ابن لها قتل في سبيل الله تعالى، فقال لها بعض أصحابه: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة. فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي. فقال لها النبي ﷺ: «إن

ابنك له أجرُ شهيدين» قالت ولِمَ؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب» أخرجهما أبوداود.

أرزأ ابني: أفقده وأصاب فيه.

وفي هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب، وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم.

١٦ ـ وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» أخرجه الخمسة إلى البخاري.

١٧ ـ وعن خُزيم بن فاتك قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق نفقة في سبيل الله تعالى كُتبتْ له بسبعمائة ضعف» رواه الترمذي وحسنه النسائي.

١٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعْب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعب. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفرَ الله لكم ويدخلكم الجنة، أغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة». رواه الترمذي.

عيينة: عين صغيرة تفيض بالماء.

١٩ ـ وعن المقدام بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستُ خصال: يغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجاز من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة

منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه» رواه الترمذي وابن ماجه.

٢٠ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقيَ الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثُلمة» رواه الترمذي وابن ماجه.

٢١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أُعطيها ولو لم تصبه» رواه مسلم.

٢٢ ـ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من رابط ليلة في سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها» رواه ابن ماجه.

٢٣ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسدر في البحر كالمتشحِّط في دمه في سبيل الله سبحانه» رواه ابن ماجه.

يسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة. وفيه الإشارة لغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويُقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة في الجو في سبيله أضعافاً مضاعفة.

٢٤ ـ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه يقول: لما قُتل عبدالله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قلت: بلى، قال: ما كلَّم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلَّم أباك كفاحاً فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطِكَ. قال يا رب تحييني فأُقتل فيك

ثانية. قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون. قال: يا رب فأبلغْ مَنْ ورائي. فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً... الآية كلها﴾ رواه ابن ماجه.

٢٥ ـ وعن أنس عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لأن أشيِّع مجاهداً في سبيل الله فأكفِّفه على رحله غدوة أو رَوْحة أحب إليَّ م الدنيا وما فيها» رواه ابن ماجه.

فأكففه على رحله: فأساعده عليه. غدوة بالغدو وهو الصباح. روحة: في الرواح وهو المساء.

٢٦ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وَفْدُ الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر» رواه مسلم.

٢٧ ـ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «يُشفَّع الشهيد في سبعين من أهل بيته» رواه أبو الدرداء.

٢٨ ـ عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يَنْزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

٢٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض» قال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول

الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل» رواه مسلم.

٣٠ ـ عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر، وعلى أهل مصر عُقْبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبوأيوب الأنصاري فقال: أيها الناس أنتم تتأوّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. رواه الترمذي.

ولاحظ يا أخي أن أبا أيوب حين يقول هذا كان في سن كبيرة قد جاوزت الشباب والكهولة، ومع هذا فقلبه وروحه وإيمانه مثال للفتوة القوية بتأييد الله وعزة الإسلام.

٣١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث به نفسه مات على شُعبة من النفاق» رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الشريفة في ذلك وأمثاله، وفي غزو البحر وتفضيله على غزو البر بمرات وفي غزو وأهل الكتاب.

وكذلك وفي تفصيل أحكام القتال، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير، وندلك على كتاب «العبرة فيما ورد عن الله ورسوله في الغزو والجهاد والهجرة» للسيد حسن صديق[1].

****

(١) رسالة الجهاد للإمام الشهيد حسن البنا.

اعـرف عـدوك

تعريف الشخصيات المؤسسة الحركة الصهيونية

١ ـ ليوبنسكو ١٨٢١ ـ ١٨٩١ الداعية الأول الحركة الصهيونية.

٢ ـ آحاد هامام ١٨٥٦ ـ ١٩٢٧ المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث.

٣ ـ الدكتور تيورد هرتزل ١٨٠٦ ـ ١٩٠٤ هو:

ـ يهودي بولندي ولد في بودا بست ١٨٦٠ وأقام في فينا.

ـ اشتغل بالتأليف المسرحي والصحافة.

ـ ألف كتابه الدولة اليهودية عام ١٨٩٦.

ـ ترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب ـ أغسطس ١٨٩٧ الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في العالم.

ـ المؤسس للصهيونية كحركة سياسية.

تم بحمد الله وتوفيقه

الساعة ١٠,١٢ مساء الاثنين

الموافق ٢١ من شهر رجب ١٤٢٢هـ

٨ من أكتوبر ٢٠٠١م

القاهرة - مدينة نصر

أهم المراجع:

١. صحوة الرجل المريض موفق بني المرجه.

٢- مذكرات هرتزل.

٣. مذكرات السلطان عبدالحميد. دكتور محمد حرب ط دار القلم بيروت.

٤- اليهود في العالم القديم. د. مصطفى كمال عبد العليم ود. سيد فرج راشد - طبعة دار القلم.

٥- المال والإعلام في الفكر اليهودي. عثمان بك زاده، تقديم أسعد السحمراني - طبعة دار النفائس.

٦- الطريق إلى القدس. ومجموعة كتب د. جمال عبدالهادي.

٧- كفاح دين للشيخ/ محمد الغزالي.

٨- معركة المصحف للشيخ/ محمد الغزالي.

٩- مجموعة الرسائل. حسن البنا.

****

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
العرب تحت راية الإسلام	١١
عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية	١٤
صراع سياسي	١٧
العرب لا ينهضون إلا بالدين	٢٣
الغزو الثقافي	٢٥
بنو إسرائيل بين الكفر والإيمان	٢٨
من هم العباد الذين بعثهم الله على بني إسرائيل	٣٠
بنو إسرائيل وموسى	٤٥
فترة التمكين في عهد يوشع بن نون	٤٧
فترات التمكين	٥٠
داود نبي مسلم	٥٢
سليمان نبي مسلم	٥٤
أخطاء يجب أن تصحح	٦١
بداية الحركة الصهيونية	٦٦
وسائل السيطرة على العالم	٦٩
المؤسسات المالية اليهودية في العصور الوسطى	٧١
المرابون يتحولون إلى أصحاب مصارف	٧٢

نابليون يخطب ود اليهود ٨٦
عكا تستعصي على نابليون ٩١
مؤتمر بال ١٨٩٧ ..... ٩١
السلطان عبدالحميد يتصدى لأطماع اليهود في فلسطين ٩٢
السلطان عبدالحميد يتصدى لأطماع الدول الأوروبية في بترول الدول العربية ١٠٤
ظهور البترول في العراق ١٠٧
السلطان عبد الحميد يمنع الإنجليز من استخراج بترول الحجاز وسوريا. ١٠٨
الألمان يطمعون في بترول المنطقة العربية ١١٠
الماسونية تعمل على خلع السلطان عبد الحميد ١١١
مؤامرة خلع السلطان عبد الحميد ١١٥
محاولة الاعتداء على كرسة السلطان عبد الحميد ١١٨
إلغاء الخلافة ١١٩
شوقي يرثي الخلافة ١٢٠
الطريق إلى فلسطين ١٢٣
آيات الجهاد ١٢٧
نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد ١٣٢
اعرف عدوك ١٤١
أهم المراجع ١٤٢
الفهرس ١٤٣